القديس أثناسيوس الرسولي في مواجهة التعليم الشائع غير الأرثوذكسي

والرد على

مقالة عقيدة الكفارة والفداء

لنيافة الأنبا بيشوي
مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

دكتور

جورج حبيب باوي

القديس أثناسيوس الرسولي
في
مواجهة التعليم الشائع
غير الأرثوذكسي

والرد على

مقالة عقيدة الكفارة والفداء

لنيافة الأنبا بيشوي
مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

تأليف
الدكتور جورج حبيب بباوي

إسم الكتاب :   القديس أثناسيوس الرسولي في مواجهة التعليم الشائع غير الأرثوذكسي
والرد على مقالة عقيدة الكفارة والفداء

المؤلـــــف :   الدكتور جورج حبيب بباوي

الناشــــــر: الدكتور جورج حبيب بباوي

رقم الإيـداع :   ٣٨٤٤ / ٢٠٠٧

الطبعة الأولى: فبراير ٢٠٠٧ ميلادية

المحتويات

الفصل الأول: محنة التعليم الأرثوذكسي المعاصر ٧
ـ ما هو الجديد؟ ولماذا المحنة؟ ٧
ـ الحجم الحقيقي للمحنة ٩

الفصل الثاني: غضب الله ١١
ـ ما هو نوع الغضب الذي يقدمه الأنبا بيشوي؟ ١١
ـ كلمات الوحي الإلهي عن الغضب ١٣
ـ أولاً: غضب معلن في أحداث تاريخية معينة ١٣
ـ ثانياً: غضب لتعدي العهد بين الله وإسرائيل ١٣
ـ ثالثاً: غضب معلن على أشخاص ١٤
ـ الغضب الإلهي ليس غضباً أبدياً إلاّ بعد يوم الدينونة ١٤
ـ غضب الله حسب كلمات الله نفسه عتى فم إشعياء النبي هو "لحظة" ١٥

الفصل الثالث: تناقض وصراع الآلهة في الوثنية وعقيدة الثالوث القدوس ٢١
ـ الثالوث توحيد المسيحية ٢١
ـ كيف انتقلت خطية الإنسان إلى الله؟ ٢٤
ـ صلوات التسبحة السنوية الخاصة بوحدة عمل الثالوث غير المنقسم الذي
لا يعرف صراعاً مع كيانه ٢٤

الفصل الرابع: هل تبرر الله ٢٩
ـ الله يبرر الخطاة بسبب محبته ٢٩
ـ حساب المحبة ٣١
ـ منطق عجيب ٣١
ـ الله لم يتبرر بموت الابن المحيي على عود الصليب ٣٥
ـ نظرية "البديل العقابي" والصدام الآتي والذي لا محالة له مع الأرثوذكسية .. ٣٨

الفصل الخامس: الثمن والدين ومصطلحات السياسة والتجارة ٤١
ـ الثمن والدين والفرق بين اللاهوت والسياسة والتجارة ٤١
ـ الفكر السياسي والتجاري الأوربي ٤٣
ـ أولاً: مبدأ القيمة Value ٤٤
ـ ثانياً: المكافأة أو المجازاة Composition & Reward ٤٥
ـ السلطان والاستحقاقات ٤٦
ـ الدين حسب شرح القديس أثناسيوس ٤٩
– ما هو الدين؟ ٥٠
– هل بدد الإنسان النعمة؟ ٥١
– تحذير القديس أثناسيوس ٥٥

الفصل السادس: التعليم الرسولي الخاص بموت الرب يسوع على الصليب كما شرحه القديس أثناسيوس........................ ٥٧
ـ الموت ثمرة الخطية والخطية ثمرة الموت ٥٧
ـ لماذا نعمد الأطفال؟ ٦٠
ـ موت النفس ٦١
ـ الموت مع المسيح وبالمسيح ٦٢
ـ موت المسيح على الصليب كما شرحه القديس أثناسيوس........................ ٦٤
ـ تناقض شرح العصر الوسيط مع التعليم الرسولي ٦٧
ـ نص القديس كيرلس الأورشليمي ٦٧
+ كيف نقرأ الفقرة الخامسة من العظة؟ ٦٨
+ المعمودية فدية الأسرى ٦٩
ـ شرح القديس يوحنا ذهبي الفم ٦٩
+ المعمودية هي الصليب ٧٠
ـ تعارض تعليم نيافة الأنبا بيشوي مع تعليم وتسليم الآباء ٧١

ملحق : ١. .... ٧٣
ـ موقع نيافة الأنبا بيشوي على شبكة الأنترنت ٧٣
ـ الغضب الإلهي ٧٤
ـ نصوص العهد الجديد عن الغضب الإلهي ٧٥
ـ تجديف على الثالوث ٧٦

ملحق : ٢. .... ٨١
ـ أما الرب فسر بأن يسحقه بالحَزَن ٨١
ـ الله لايسر بالشر ولا بالذبائح ٨٢
ـ انواع مختلفة للإنسحاق ٨٢

الفصل الأول

محنة التعليم الأرثوذكسي المعاصر

"هل تعلمون أيها السادة النبلاء لماذا سقطت الآلهة القديمة؟ لماذا خرّب يسوع الناصري معابدنا وأتلف عبادتنا؟ الجواب واضح. لم يكن لدينا آلهة لها أخلاق حسنة وشريفة. كنا نحن البشر أفضل من الآلهة. كان لدينا الشرف والصدق ولم نكن نسرق ونزني للدفاع عن مصالحنا الشخصية. جاء يسوع الشريف النبيل الذي بذل ذاته وعلّم السوقة قبل النبلاء أن التضحية والبذل هو عمل الله وبذلك سقطت آلهتنا تحت قدميه لأنه ظهر أنه أفضل منها، فقد شفى المرضى، وأعلن الآب، وأعطى ملكوت الله ليس للشرفاء فقط بل أيضاً للفقراء. وجاء برسالة الحرية وقدّم العدل الشافي الذي يجدّد ويرد الضائع وهو الحياة الإنسانية، ولذلك سار الناس إليه وأحبوه وعبدوه وماتوا لأجل إسمه..."

(لوقيانوس الصوري ـ سقوط الآلهة ـ الكتاب الأول، الفصل الأول، الفقرة ١٤)

ما هو الجديد؟ ولماذا المحنة؟

لم تكن عبارات لوقيانوس أمام مجمع نبلاء مدينة صور عام ٣٧٤ ميلادية غريبة على آذان الذين درسوا التاريخ الكنسي فقد سبقه عمالقة القرن الثاني مثل الشهيد يوستينوس، وأثينا غوراس، وغيرهما من آباء الكنيسة الجامعة. كانت الوثنية قد فقدت مصداقيتها أمام قوة وبشارة الحياة الجديدة الآتية والمعلنة، والتي وُهِبت في يسوع المسيح.

"الجديد أتلف القديم لأنه كان أفضل، كان القديم مغروساً في أحط شهوات الإنسان. وجاء الجديد بما هو مغروس في شخص شريف لم يتزوج ومات من أجل رسالته".
(لوقيانوس الصوري المرجع السابق - الفقرة ١٥)

هذا هو موقف الكنيسة الجامعة الرسولية التي تعلن:

الحياة في مواجهة الموت.

التجديد في تحدي للخطية والموت الروحي.

الخلاص من سلاسل الشر.

القيامة والخلود بلا فساد من القبر.

"كان يسوع يدق بيديه الدامية باب الوثنية لكي يدخل معابد الآلهة ويعلن مجده. فتسقط التماثيل أمامه، لأن هذه الأصنام ليس فيها حياة وعاجزة عن أن تُلهم البشر بما هو نافع ومقدس"

(لوقيانوس الصوري – المرجع السابق – الفقرة ١٧)

"مأساة القديم، ليس فقط في أنه يفقد علاقته بالواقع، بل في عجزه عن أن يكون النموذج والمثال الصالح لما يحدث في الحياة الإنسانية"

(لوقيانوس الصوري – المرجع السابق – الفقرة ٢١)

وبعد أيها القارئ العزيز، لعل ذلك المسيحي الذي عاش في القرن الرابع وشهد إندثار الوثنية، يخاطبك ويخاطب معنا كل الضمائر الحية.

ما هي محنة التعليم الأرثوذكسي المعاصر؟

الجواب تجده على صفحات مقالات بعض معلمي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وعلى صفحات كتيب صغير لنيافة الأنبا بيشوي، كلاهما يقدم رأيه الشخصي والخاص به، على أنه الأرثوذكسية. وبالتأكيد لكل إنسان الحق في أن يقدم رأيه الشخصي لكن المأساة هي:

١ـ أصبح هذا الرأي هو التعليم الأرثوذكسي الذي يَجُب تراثنا اللاهوتي كله الممتد عبر ١٩٠٠ سنة، وبلذات ما سُلِّم إلينا من آباء الكنيسة الجامعة.

٢ـ أصبح كل من يختلف مع هذا الرأي هو إنسان يقدم *"التعاليم الغربية"* (ص ٦) بل وكما وصف نيافة الأنبا بيشوي *"توجد موجة معاصرة وسط بعض أفراد الكنيسة، تنقل عن لاهوتيين غربيين محدثين..."* (ص٨). ولم يقدم لنا نصاً واحداً نُقل من كتاب غربي يؤكد فيه ما يقول.

٣ـ وتمتد المأساة لكي تشمل إهمال وغياب كل ما هو ثابت عندنا:

أولاً: في كتابات الآباء الذين فسروا الكتب المقدسة.

ثانياً: ما إستقر عندنا من تسليم روحي في صلواتنا الليتورجية.

ثالثاً: ما سلم لنا من المجامع التي صاغت العقائد الأرثوذكسية.

الحجم الحقيقي للمحنة

ليس فقط في إستبعاد تراثنا الأرثوذكسي وكأنه غير موجود، بل الهجوم عليه. والمحنة في جوهرها هي:

١- عودة بعض معلمي الكنيسة في هذا الجيل إلى كتب غير أرثوذكسية، ليس فقط في روحها بل حتى في ألفاظها التي تستخدم في مقالات وكتب وتراتيل عربية وغيرها... وأصبح هؤلاء أسرى لهذا التعليم، وأيضاً صارت لديهم الشجاعة لاتهام "الأرثوذكس" الحقيقيين بأنهم هم الذين أخذوا عن "الكتب الغربية"...!!

٢- الاحتماء بثوب وعمامة الكهنوت ولقب الأسقف. لا يكفي بالمرة لأن يكون من يلبس الثوب والعمامة ونال شرف الأسقفية أن يكون مسيحياً أرثوذكسياً، فتاريخ الكنيسة شاهد أساقفة مثل نسطور وقساوسة مثل أريوس...

"لا يكفي أن تقف في المعبد لكي تتلو الصلوات والأدعية، فقد جرد يسوع الناصري من يقوم بهذه المهمة البسيطة من كل سلطان، لأن الكلمات والطقوس فقدت قوتها عندما سكن الله نفسه في قلوب البشر، فأصبحت الكلمات والطقوس تعبر عن هذه العطية وتعلنها، فترك الناس المعابد لأن يسوع جعل هؤلاء "هيكل الله الحي" الذي لم يبنى من حجارة بل من الله".

(لوقيانوس الصوري - الكتاب الثاني - الفصل الأول الفقرة ٣)

لا تَمنح عطية ونعمة الكهنوت من ينالها السلطان لأن يشطب التسليم الآبائي وأن يلغي ما دوّن في تراثنا، لأن الأسقف الأرثوذكسي الحقيقي يأخذ كرامته وخدمته من التاريخ الكنسي، ومن التسليم، وشرف الانتماء إلى الآباء. هذا الشرف يعبر عن نفسه في التسليم الأبائي الذي يوضع في أول خدمة سر الإفخارستيا، الذي يعرف باسم "تحليل الخدام"، حيث تذكر الصلاة مؤسس الكنيسة الثالوث الأقدس ومعلمي الإيمان الإثنى عشر رسولاً، ومؤسس الكنيسة المصرية مارمرقس، ثم عظماء الأرثوذكسية وآباء المجامع المسكونية. وعندما يفصل أي أسقف نفسه عن هؤلاء ويحتمي بثوب الكهنوت ويحارب الأرثوذكسية وينقض بكل قسوة على الذين يحاولون في أمانة العودة إلى تعليم الرب والرسل والآباء. وتصبح أدلة الهجوم هي الاتهام بالنقل *"عن لاهوتيين غربيين محدثين"* (ص ٨ من كتاب الأنبا بيشوي - عقيدة الكفارة والفداء) دون أن يقدم دليلاً واحداً، فإن عبارات لوقيانوس الصوري أمام مجمع نبلاء صور تصبح وكأنها حديث معاصر، وذلك تحذير من "مصيبة كبرى" عاشتها الكنيسة في زمان الاضطهاد عندما إتهم كل مسيحي بأنه: يأكل

لحوم بشر، وأن له معاشرات جنسية شاذة، وأيضاً الإلحاد وإنكار الآلهة. ولكن سقطت كل هذه الاتهاماتك، وكُشف شذوذ قوة الإمبراطورية.

"أيها السادة: من هم هؤلاء الذين يتبعون يسوع الناصري، لقد وصفناهم بأحط الاتهامات، ثم عاشوا بيننا يعلنون محبة الأعداء ويصافحون الذين يعتدون عليهم.. هل تعلمون لماذا نجحوا لأن الكذب غير قادر على البقاء فهو يتحدى العقل ويجعل ضمائر السكارى بالكذب تصحو، لقد أثبت هؤلاء "المسيحيون" أنهم مثل يسوع ولم تعد قوة روما كافية لإثبات شر هؤلاء الشرفاء"

(المرجع السابق ـ الكتاب الرابع ـ الفصل الأول الفقرة ١)

نعم منهم سوف تأت أجيال وُلِدَت في أحضان هذا الجيل لكي تكشف الزيف والخداع، فالإتهام بلا دليل هو وحده الدليل على الخداع.

هذه هي محنة التعليم الأرثوذكسي المعاصر. وهي محنة تدعونا إلى الصبر، لأن الحق مات على الصليب وقام في اليوم الثالث، أما الخداع فمات مع أصحابه ولم يقم.

الفصل الثاني

غضب الله

"عندما كان هؤلاء البسطاء والشرفاء في كنائسهم يصلون معاً ويعلنون محبة الله كانت معابدنا الهائلة الضخمة تعلن زنى وقتل وفجور الآلهة، وكان الجبناء منا يقدمون الأضاحي والقرابين لصرف غضب أبولو، بينما كان هؤلاء "المسيحيون" يقدمون حياتهم من أجل المصالحة والمحبة... كانت معابدنا تحتمي بقوة روما وكانت كنائسهم بلا حماية إلا من الشرف والأخلاق النبيلة، لأن من يحيا بلا كراهية ولايبطش بغيره لا يحتاج إلى حماية"

(لوقيانوس الصوري - خطاب أمام مجلس النبلاء — الكتاب الأول — الفصل الأول - الفقرة ٣)

ما هو نوع الغضب الذي يقدمه الأنبا بيشوي؟

يقول نيافته:

"لا أحد يستطيع أن ينكر غضب الله بسبب الخطية، بل لا بد أن تعلن قداسة الله الكاملة كرافض للخطية والشر في حياة الإنسان. عدل الله في محاسبته على الخطية معناه أن تظهر قداسة الله الكاملة بأن تنال الخطية قصاصاً عادلاً. حتى لو دفع الثمن من يحمل خطية الإنسان عوضاً عنه، مانحاً الخاطئ فرصة للتوبة.." (ص ٩ من نفس الكتاب).

هذه السطور تبدو مقنعة لمن لم يدرس الأسفار. وهي تكشف جوهر تعليم هذا العصر وقد وُضع في عبارة موجزة تكشف عما حدث في ربع قرن *"حتى لو دفع الثمن من يحمل خطية الإنسان عوضاً عنه"* لابد من القصاص.

أولاً: كلمة "قصاص" كلمة قرآنية لها مكانها في الشريعة الإسلامية ودخلت اللغة العربية المسيحية في ترجمة الكتاب المقدس البيروتية، ولذلك فهي غير معروفة في اليونانية والقبطية معاً، وحسب هذه الترجمة[1] وردت الكلمة مرتين في (رو ٣: ١٩) "العالم تحت قصاص من الله" وفي (٢كو ٢: ٦) "هذا يكفيه هذا القصاص".

---

[1] ترجمة الأمريكان - وهؤلاء هم العربيون الذي قدموا للأقباط الكتاب المقدس بالعربية - جمعية الكتاب المقدس.

أما حسب النص القبطي: πιϩⲁπ "العالم كله يأخذ دينونة الله" وكلمة دينونة باليونانية υποδικος مكونة من المقطع υπο تحت δικος حكم أو دينونة، والفرق بين كلمة دينونة وكلمة قصاص هو أن الألم والعقوبة هي حق الله، حسب الشريعة الإسلامية التي يُعتبر القصاص فيها هو حق الله، أما الدينونة في المسيحية ليست إيقاع الإيذاء والألم بالذات بل ترك الخاطئ يجني ثمار خطيته.

أما في نص (٢كو ٢: ٦)، وهو خاص بالأخ الذي زنى ومُنع من الشركة فلم يكن هذا قصاصاً بل حكماً كنسياً، ولذلك إستخدم الرسول كلمة أخرى وهي επιτιμια وترجمت إلى Censure إبعاد ورد، وقد لاحظ ذلك المترجم القبطي فترجم الكلمة اليونانية وأضاف إليها المقطع القبطي εταιεπιτιμια يكفيه الحكم أو الطرد. وكما نرى من الذي يتمسك بالمصطلحات الغربية؟!

ثانياً: رغم إصرار نيافة الأنبا بيشوي على أن *"الغفران الإلهي هو غفران مدفوع الثمن"* (ص٧) إلا أن المسيح الذي دفع الثمن لا يعفي الخاطئ من القصاص، لأن المسيح حسب كلمات نيافته *"احتمل الغضب؛ الألم الذي إحتمله هو نتيجة الغضب المعلن ضد الخطية. الغفران في المسيحية ليس غفراناً بلا ثمن بل هو غفران مدفوع الثمن. والذي دفع الثمن هو السيد المسيح.."* (ص ١١)، إصرار يكشف عن منهج سرعة إصدار الأحكام الكنسية بدون محاكمة، بدون حق الدفاع عن النفس. وأيضاً محاكمة الموتى، ليس فقط في العظات الحافلة بالنكات والسخرية، بل بمنع صلاة الدفن. هذا هو القصاص الذي لا يعرفه الكتاب المقدس، ولكن يجب أن يبقى سيف القصاص حتى يدفع كل خاطئ ثمن خطاياه في محكمة نيافة الأنبا بيشوي الثمن وينال القصاص على خطاياه، رغم أن المسيح دفع الثمن *"واحتمل الغضب"*.

فما هو الغضب الإلهي الذي يتكلم عنه نيافته؟

١ـ هل هو غضب السيد القاسي السادي Sadistic الذي يجد لذة ويتشفى في عبده المذنب ؟، وهل يحتاج هذا إلى تفنيد !!، لأن ما نراه في البشر الخطاة لا يجب أن نتوقع رؤيته في الله.

٢ـ هل هو غضب السياسي الماكر الذي لا يستريح حتى يقتل خصمه وينهي عليه تماماً بكل ما يملك من أسلحة بما فيها التشهير، والكذب، وإختراع التهم الكاذبة ؟، لأن الهدف هو القضاء على الخصم. هذا لا يمكن أن ينسب إلى الله خالق الكل بيسوع المسيح.

٣ـ هل هو غضب المعلّم الكريم الذي يعاقب لكي يتعلّم التلميذ فلا يعود إلى الخطأ ويتقدم في دراسته ؟ ـ لقد شرح العلامة إكليمنضس السكندري ومعه ماراسحق

السرياني هذا النوع من الغضب وقال كلاهما أن غضب الله هو غضب للتعليم لا يوجد فيه تشفي ولذة الانتقام.

كلمات الوحي الإلهي عن الغضب

أولاً: غضب معلن في أحداث تاريخية معينة:

"لا تضطهد الغريب ولا تضايقه. لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر. إن أسأت إليه فإني إن صرخ إليَّ أسمع صراخه. فيحمي غضبي وأقتلكم بالسيف.." (خر ٢٢: ٢١ ـ ٢٣) وسفر القضاة مملوء بالعديد من الأحداث التاريخية التي دفع فيها الله بني إسرائيل ليد الشعوب المجاورة لكي يتوبوا. غضب يؤدي إلى تعلم التوبة (راجع قض ٣: ١) حيث يقول السفر، "هؤلاء هم الأمم الذين تركهم الرب ليمتحن بهم أسرائيل.." وكل أصحاح في سفر القضاة نقرأ هذه العبارة "وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عين الرب.." دون أن تذكر أي الاصحاحات أن الرب غضب، ولكنه أدب بدون غضب. تأديب يقول عنه المزمور "لاتؤدبني بغضبك" (٦: ١) هذا التأديب يقول عنه إشعياء النبي "لأني بغضبي ضربتك وبرضواني رحمتك" (٦٠: ١٠). والأحداث التاريخية كثيرة يعرفها القارئ من نزول بني قورح إلى أسفل الأرض أحياء.. الخ.

إنه ليس غضب رجل الشرطة الذي ينتظر لحظة العقاب والانتقام، بل هو غضب معلن بل ويسبقه إنذار واضح، مثل ذلك الإنذار الذي سجله أرميا النبي "يا بيت داود هكذا قال الرب. إقضوا في الصباح عدلاً... لئلا يخرج كنار غضبي فيحرق وليس من يطفئ من أجل شر أعمالكم" (أر ٢١: ١٢ وراجع أعداد ١٣ ـ ١٤).

لا يمكن لأي فاهم أن ينسب غضب الله على الشر بأنه حدث على الصليب. لأن الآب لم يعلن غضبه على الابن مطلقاً، وعلى من يقول ذلك أن يقدم لنا كلمة أو عبارة واحدةتعلن غضب الآب على الابن.

ثانياً: غضب لتعدي العهد بين الله وإسرائيل:

يقول عنه المزمور "غَضِب على ميراثه" (مز ١٧: ١٢). هو غضب على خيانة العهد وهو غضب أيضاً مُعلن بزوال البركة، بركة نزول المطر، وبركة الحصاد مُلخصاً في عبارة هامة دخلت صلوات المجمع اليهودي واعتمدت على سفر التثنية ص ٢٩ وبذات الآية ١٢ وما بعدها حيث تحل بركة الرب على حفظ العهد والسير بأمانة. ويكمل الرب كلامه مع موسى "ومتى أتت عليك كل هذه الأمور البركة واللعنة اللتان جعلتهما قدامك فإن

رددت في قلبك بين جميع الأمم الذين طردك الرب إلهك إليهم.. يرد الرب إلهك سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك إليهم الرب إلهك (راجع تثنية ٣٠: ١ ـ٣) جاء السبي، وهو غضب معلن لنقض العهد، فهل نقض الابن العهد؟ بكل تأكيد لا، لأنه أسس العهد الجديد في العُلّية قبل موته مؤكداً حرية تقديم ذاته لخاصته القديسين من الرسل.

ثالثاً: غضب معلن على أشخاص:

ليس غضباً صامتاً بل غضب جاهر به الرب الإله نفسه، مثل موسى النبي "غضب عليَّ بسببكم" (تث ٣: ٢٦ ـ ٤: ٢١) فلم يدخل موسى أرض الموعد. وغضب على عالي الكاهن. وقد لَخص النبي كلمات الرب في عبارة واحدة "إني أكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون" وبعد ذلك يقول الرب. "اقطع فيها ذراعك وذراع بيت أبيك" وأعطي الرب علامة "وهذه لك علامة تأتي على ابنيك حفني وفينحاس. في يوم واحد يموتان كلاهما" (١صم ٢: ٢٧ ـ ٣٤) فهل أعطى الآب علامة غضب على ابنه الوحيد؟ بكل تأكيد لا.

وغضب الرب على شاول الملك رغم أنه هو الذي أقامه ملكاً وجاء الإنذار والغضب المعلن. الآن فمملكتك لا تقوم... (١صم ١٣: ٨ ـ ١٤). وقصة داود معروفة وغيرها من شخصيات أعلن الله غضبه عليها... ولكن لم يعلن الآب غضبه على الابن بالمرة... وعلى من يقول غير ذلك أن يقدم لنا كلمات الوحي المقدس التي يحتج بها.

الغضب الإلهي ليس غضباً أبدياً إلا بعد يوم الدينونة

ليتك أيها القارئ تقف وتصلي عبارات الكتاب المقدس وتنسى التعليم غير المسيحي عن غضب الله وهو تعليم يصور الله الآب كما يصور السيد القاسي الذي لا رحمة له والذي يجد لذة في الغضب والعقاب والتشفي... هذه صورة الله عند إنسان يُسقط Project صورته المريضة على الله نفسه ويتصور الله كما يتصور نفسه أو كما رأى "الأب الحمش" الذي يضرب الأم والأولاد دون رحمة، والذي يخفي سلوكه الشائن وراء قناع الشدة وعدم الرحمة.

هكذا يصلي أيثان في مزمور ٨٩... واقرأ هذه العبارات:

* بمراحم الرب أغني إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقه بفمي لأني قلت أن الرحمة إلى الدهر (وليس الغضب كما سنرى) تبنى السموات.

* العدل والحق قاعدة كرسيك، الرحمة والأمانة تتقدمان أمام وجهك. فالعدل والحق لم يحجبا رحمة الله بل عندما تتقدم الرحمة والأمانة وجه الله فهذا يؤكد أن الرحمة والأمانة يعملان معاً لرد الإنسان إلى العدل والحق. (أين الغضب) وبعد ذلك يقول أيثان:

"لكنك رفضت ورذلت. غضبت على مسيحك.. نجست تاجه في التراب... فرّحت جميع أعدائه... أبطلت بهاءه وألقيت كرسيه إلى الأرض (غضب معلن).

ولكن هل يقف أيثان عند هذه العبارات. هل هو أمام هذا الإله المخيف الذي لا يستريح حتى يسحق الخطاة ولا يهدأ حتى يأخذ ثمن الخطية من الإنسان المخلوق من التراب. تأمل أيها القارئ هذا "العقاب" الذي يصدر عن إنسان خاطئ مثلنا يبدأ الصلاة "بمراحم الرب أغني إلى الدهر".

ثم يعود ويقول لله:

"حتى متى يارب تختبئ كل الاختباء

حتى متى يتقد كالنار غضبك

أذكر كيف أنا زائل. إلى أي باطل خلقت جميع بني آدم أين مراحمك الأولى يارب التي حلفت بها لداود بأمانتك" (راجع مزمور ٨٩ : ١ ـ ٥٢).

غضب الله حسب كلمات الله نفسه على فم إشعياء النبي هو "لحظة":

يقول الرب الإله على فم إشعياء الذي يذكّر إسرائيل بعهد الزواج:

"لأن رجُلك هو صانعك رب الجنود إسمه

ووليك (الولي هو الذي له حق إعالة الأسرة) قدوس إسرائيل إله كل الأرض...

قال إلهك: لحيظة تركتك وبمراحم سأجمعك

بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك **لحظة**

بإحسان أبدي أرحمك قال وليك الرب...

الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك".

(إش ٥٤: ٥ ـ ١٠)

بل ويجب أن نقف طويلاً كل منا حسب التقوى الأرثوذكسية أمام عبارة الله نفسه وهي ضد كل ما ذكره الأنبا بيشوي:

"كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض (أي لا يأت طوفان آخر) هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك.. فلا يزول عنك إحساني (أو أما إحساني فلا يزول عنك) **وعهد سلامي** لا يتزعزع قال راحمك الرب" (إش ٥٤: ٩ ـ ١٠).

وهكذا كما يقول الرسول بأمرين يمكن الرجوع عنهما أو تغيير أحدهما وهما **القسم والعهد**. "حَلف الرب ولن يندم" وجاء الكاهن الأعظم على رتبة ملكي صادق ربنا يسوع المسيح (عب ٨: ٦) يأتي العهد، العهد الأبدي (عب ٨: ١٣) الذي جاء به يسوع "وسيط العهد الجديد" (عب ٩: ١٥)، العهد الجديد الذي جاء بالميراث الأبدي (عب ٩: ١٥)، نحن ندخل هذا العهد "بثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع" (عب ١٠: ١٩).

لقد جاء الابن بسبب القسم أو الحلف وبسبب تأكيد العهد بالقسم نفسه. عهد أن لا يغضب الرب وطبعاً سوف يقفز البعض ليقولوا لنا أن هذا القسم والعهد تم بعد أن وجد الرب الإله من يحمل عقاب الخطية أي أنه جاء وأعطى لنا بعد أن "أفرغ" الله شحنة غضبه مثل "الأب القاسي" وغيره من الصور الاجتماعية والسياسية السائدة في البيئة. وحتى لا نعطي لهؤلاء "ثقب أبرة" يدخلون منه ولا نعطي فرصة للشيطان نفسه زارع الشك والرعب في قلوب الخطاة حتى لا يقتربوا من الله الذي يغسل خطايانا. ألم ترتب الكنيسة القبطية تلاوة مزمور ٥٠ في بداية كل صلاة من صلوات السواعي لكي تنزع عنا رعب الشعور بالذنب ولكي ندخل إلى أقداس الرحمة قائلين مع الذي زنى وقتل: "إغسلني كثيراً من إثمي ومن خطيتي طهرني.. طهرني بالزوفا فأطهر. إغسلني فأبيض أكثر من الثلج" (مز ٥٠: ٣ ـ ٧).

وحتى لا يجد التعليم المستعبد لعادات اجتماعية ومبادئ غير مسيحية، لنقف أمام محاكمة إسرائيل الزانية في حزقيال ١٦ حيث يتكلم الرب نفسه بكل ما في اللغة العبرانية من عبارات قاسية مخيفة عن تفوق إسرائيل في زناها على كل الشعوب التي لا تعرف إله إبراهيم واسحق ويعقوب، ويقول الرب أن هذه الشعوب "يخجلن من طريق رذيلة إسرائيل" (١٦: ٢٧). إسرائيل التي لم تشبع من الزنى (١٦: ٢٨) بل تعطي من يزني معها هدية وهو عكس ما هو سائداً لكل الزواني يعطون هدية. أما أنت (يا إسرائيل) فقد أعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم (قدمت رشوة) ليأتوك من كل جانب للزنا بك، وصار فيك عكس عادة النساء في زناك... أنت تعطين أجرة..." (١٦: ٣٣ ـ ٣٤).

ثم بعد ذلك يأت الحكم الإلهي ـ غضب معلن:

"أحكم عليكم أحكام الفاسقات السافكات الدم.. يهدمون قبتك (الهيكل)... ويقطّعونك بسيوفهم ويحرقون بيوتك بالنار.. أجلب طريقك على رأسك... (راجع حزقيل ١٦: ٣٥ ـ ٥٨).

لا يوجد في كل العهد القديم حكم أفظع من حزقيال ١٦.

ولكن بعد هذا التأديب وبعد أن يحصد البشر ثمار أعمالهم..

يقول الرب "ولكن اذكر عهدي معك في أيام صباك وأقيم لك عهداً أبدياً... أغفر لك كل ما فعلت يقول السيد الرب" (حز ١٦: ٥١ ـ ٦٢).

وحتى لا يظن أحد أننا أمام فقرة واحدة في حزقيال النبي يأت النبي ميخا ليقول للسيد الرب:

"من هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه **لا يحفظ إلى الأبد غضبه** فإنه يسر بالرأفة. يعود يرحمنا يدوس آثامنا (لا يجمعها لكي يضعها على رأس ابنه الحبيب) ويطرح في أعماق البحر جميع خطايانا (لا لكي يحفظها منتظراً لحظة أو ساعة الانتقام والتشفي). تصنع الأمانة ليعقوب والرأفة لإبراهيم اللتين حلفت لآبائنا منذ أيام القدم" (مي ٧: ١٨ ـ ٢٠). هكذا يحاكم الرب ويعلن غضبه ولكن ليس إلى الأبد.

ولعل القارئ لاحظ هنا "القسم" لإبراهيم، ولكن النبي أضاف قاعدة إعلان الرحمة والمسرة بالرأفة وهي أن الله إختار له شعباً وهو ليس فقط شعباً بل هو "ميراث" الرب، الذي أقسم أن يعطي الأمم ميراثاً لإبنه يسوع المسيح (مز ٢: ٨)، وهو ذات الميراث الأبدي الذي لنا في يسوع (١بط ١: ٤) ولذلك عندما أقام الرب بصموئيل ملكاً أي شاول، مسح ملكاً على "ميراث الرب" (١صم ١٠: ١) والله يقول دائماً أن شعبه هو ميراثه (إش ١٩: ٢٥) فهو عندما يغضب فهو لا يغضب مثل رجل مريض بالسادية بل يغضب على ميراثه كما رأينا في مزمور ٨٩ وأيضاً في مزمور ٧٨: ١٦. هو غضب محدود بالقسم، العهد، الميراث، لأنه لو كان غضب أبدي لما بقى إنسان واحد على الأرض. ولذلك السبب عينه تجئ صلوات قديسي العهد القديم لكي تبدأ بكلمة هامة تلمس "حدود" عمل الله وهي **"أذكر"**.

أذكر أنك جبلتني كالطين (أي ١٠: ٩).

أذكر مراحمك يارب (مز ٢٥: ١)

أذكر جماعتك التي صارت ميراثك (أو حسب الترجمة البيروتية الأمريكية) التي اقتنيتها (مز ٧٤ ـ ٦) وهي صرخة اللص على الصليب:

"أذكرني يارب..." (لو ٢٣: ٤٢).

أليست هذه هي رسالة الله لنا

ذكر رحمته وأمانته (مز ٩٨: ٣).

ذكر إلى الدهر عهده (مز ١٠٥: ٨).

وعندما يذكر داود ضعفه يقول للرب

لا ترفضني في زمان الشيخوخة..

فمي يحدث بعدلك اليوم كله

أذكر برك وحدك (مز ٧١: ٩ ـ ١٦).

ولذلك السبب يصف الكتاب المقدس بكلمات من الروح القدس أن الله:

* بطئ الغضب وكثير الإحسان (خر ٣٤: ٦).

وهذا عكس ما نسمعه اليوم.

* وبعد أن ينذر النبي يوئيل بعاقبة عدم التوبة يقول:

"ولكن الآن يقول الرب ارجعوا إليَّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء إرجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطئ الغضب كثير الرأفة ويندم على الشر" (يؤ ٢: ١٢ ـ ١٣).

* بطئ الغضب ـ كثير الإحسان ـ كثير الرأفة

فهل كان الآب بطئ الغضب كثير الإحسان وكثير الرأفة على ابنه الوحيد الذي جاء لكي يعمل إرادة الآب (يو ٥: ٣٦)، أم أن الآب (مثل البعض في هذا الجيل) نسيً نفسه وصب جام غضبه لكي يستريح من حمل الغضب الثقيل، صب على إبنه دون تمييز ودون معرفة.

وبعد أن يسمع يونان النبي رسالة الله إلى نينوى ويتذكر معاملات الله مع إسرائيل العاصي والزاني (وسائر الخطايا الأخرى)، وعندما "ندم الله على الشر.." (يون ٣: ١٠) لم يقبل يونان ذلك مثل البعض "فغم (حل به الغم) ذلك يونان غماً شديداً فاغتاظ وصلى إلى الرب وقال آه يارب أليس هذا كلامي إذ كنت بعد في أرضي... لأني علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطئ الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر" (يون ٤: ١ ـ ٢).

ولماذا قال الله "هل اغتظت بالصواب؟" (يون ٤: ٤). أليس رحمة الله هي الصواب وهي الحق لأنها تُحيي الخاطئ بل وترد شعب نينوى إلى الحياة لأنه تاب.

* وأيضاً يبدأ ناحوم النبي رسالته إلى إسرائيل حين يتكلم أيضاً عن نينوى المدينة التي أذلت إسرائيل ويذكر كلام الله للأقوياء المتسلطين "الرب إله غيور ومنتقم .. حافظ غضبه على أعدائه" (وحتى في حالة نينوى، بعد التوبة، إنصرف غضب الله).

الرب بطئ الغضب (فقد ترك نينوى تتسلط ولكن القدرة أبدلت الذل والظلم) وعظيم القدرة ولكنه لا يبرئ البتة.." (نا ١: ١ ـ ٣).

يجب أن ننبه القارئ إلى أن الدينونة هنا على شعب وليس على فرد ولذلك يحفظ الرب غضبه على أعدائه حتى يتوبوا ويتوقف غضب الله، والأمثلة كثيرة من العهد القديم ولذلك تصبح عبارة الأنبا بيشوي أن *"الخطية تنال قصاصاً عادلاً حتى لو دفع الثمن من يحمل خطية الإنسان عوضاً عنه"* (ص ٩) عبارة لا علاقة لها بالمسيحية على الإطلاق.

* وأخيراً يقول حبقوق النبي:

"يارب قد سمعت خبرك فجزعت. يارب عملك في وسط السنين أحيه.. في الغضب أذكر رحمة" (حب ٣: ٢).

فهل ذكر الآب رحمته؟ الآب الذي شاء قبل خلق العالم أن يقدم ابنه كفارة عنا (١بط ١: ١٩). أم ضاعت رحمته على ابنه الوحيد، بل والحبيب، الذي فيه وحده مسرتّه الأزلية؟ هذا عيب كبير لا يجب أن يلصق بالمسيحية.

الفصل الثالث

تناقض وصراع الآلهة
في
الوثنية وعقيدة الثالوث القدوس

"هل تعلمون أيها السادة النبلاء لماذا سقطت الآلهة القديمة أمام ذلك الـذي صـلب علـى عهد بيلاطس البنطي؟ هذا واضح ولا يحتاج إلى جواب، لقد نقلنا كل قذارة ونجاسـة فينـا إلى عبادتنا ثم قمنا بإختلاق قصص كاذبة وجعلنا لكـل رذيلـة إلـه، واحـد للزنـى وآخـر للسرقة، وثالث للكذب ثم أضفنا إلى هؤلاء إله العدل وإله القانون وإله الطب، وبـذلك نقلنا الصراعات التي لـدينا إلى هـؤلاء الآلهـة، ودخـل الآلهـة في صـراعات وحـروب مـع بعضهم وأصبح التآمر والكذب والقتل والزنى من صفات هؤلاء. وجاء يسوع لكي يعلم الفقراء والمساكين والعظماء أن القدرة في المحبة وأن السلطان يخدم وأن العظمة في خلاص الضعيف. لقد قَلَب الموازين فسقطت المعايير القديمة وارتفـع الصـليب مثـل علـم يـراه الكل يرفرف على كل ما في التاريخ، وصار رمزاً لكل ما هو طاهر وقدوس ونبيـل، صـار عالم المحبة والغفران... وبذلك سقطت الآلهة"

(لوقيانوس الصوري ـ سقوط الآلهة ـ خطاب أمام مجلس النبلاء ـ الكتاب الأول ـ الفصل الأول ـ الفقرة ١ - ٢)

الثالوث توحيد المسيحية

نلتمس كل الأعذار الممكنة لكل إنسان في جيلنا. فقد تجاهلنا موضوع الثالوث، وليس لدينا كتاب واحد أرثوذكسي يشرح هذه العقيدة الفريدة التي تميّـز المسـيحية عـن غيرهـا. لكننا نسمع من البعض أن الثالوث أخذ مـن ديانـة مصـر الفرعونيـة، وأكاذيـب أخـرى نشرت بدافع الحرص على الانتماء إلى الفراعنة الأماجد، وهي أكاذيب لا وجود لها إلا في عقول المنادين بها عن جهل، وحتى ألقاب الفرعون لا علاقة لها بما أُعلـن في المسـيح وفي الأسفار المقدسة.

استقر لدينا حسب الكتاب المقدس وتعليم الآباء الثابت في قرارات المجامع المسـكونية أن الثالوث جوهر واحد، حياة واحدة، إرادة واحدة، محبة واحدة، قدرة واحدة، سلطان واحد،

شركة أقانيم ثلاثة لا يضاف إليهم إلهاً آخر ولا ينقص منهم أحد. رب واحد معلن من الآب بالابن في الروح القدس، بل عندما نعلِّم عن نعمة الله فهي نعمة واحدة من الآب بالابن في الروح القدس (راجع رسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون عن الروح القدس: الرسالة الأولى فقرة ٢٠ ـ ضد الأريوسيين فقرة ٣: ٢٤).

كل هذا ينفي تماماً إنفراد الآب بالعدل والابن بالرحمة، أو تخصيص الغضب للآب وتقديم الترضيّة أو الثمن أو.. الخ. بواسطة الإبن، وما إليها من مفردات دخلت كتبنا العربية من كتب بعض الطوائف. وحسب التعليم الرسولي الآب في الابن (يو١٤: ١١)، والآب والابن واحد (يو ١٠: ٣٠)، ومحبة الله الآب المعلنة في ابنه يسوع المسيح بالبذل، فقد بذل الآب ابنه "أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يو٣: ١٦) والبذل لا يعني مطلقاً أن يشعل الآب نار العدل في ابنه حتى يحترق الابن له المجد ويتحول إلى رماد، هذا خيال يعبر عن التركيب النفسي للإنسان وعن نظرته الخاصة وما يسقط Project على الله من صفات خاصة به هو، ولا علاقة لها بالآب نفسه.

وعندما يقول الأنبا بيشوي *"أن السيد المسيح احتمل الغضب. الألم الذي احتمله هو نتيجة الغضب المعلن ضد الخطية"* (ص ١١) ويتحدث عن حاجة البشر *"إلى من يستطيع أن يحرر.. ويخلصهم من أسر إبليس وينقذهم من الغضب الإلهي"* (ص ١٠) ثم يمضي في تصوره ليقول *"الله لم يشفق على ابنه حينما حمل خطايانا في جسده بل أعلن غضبه على الخطية.. الخ"* (ص ١٢). هنا تحول التعليم المسيحي عن الثالوث الواحد بالجوهر المثلث بالأقانيم إلى صورة وثنية تماماً لإله هو الآب يصب غضبه على الابن الوحيد *"لكي تنال الخطية دينونة عادلة.."* !! . وبعد ذلك وجد كاتب المقالة نفسه أمام مشكلة لابد وأنه أحس بها باطنياً فقال:

"أن الله إذا غفر بدون قصاص كامل للخطية. يكون كمن يتساوى عنده الخير والشر" (ص ١٦).

لقد غفر الله خطايا كثيرة قبل موت الرب يسوع، بل غفر الرب يسوع للمرأة التي أمسكت في الزنى، ولم يقل لها إذهبي بسلام لأنني سأدفع عنك بل قال لها إذهبي بسلام.. الخ.

وغفران الله بدون *قصاص* (كلمة غير مسيحية الأصل) يصطدم بشكل مباشر مع عبارة واضحة لا تحتاج إلى شرح وهي للرسول بولس:

"متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح (غفران) عن الخطايا السالفة (التي حدثت في الماضي) بإمهال الله (صبر الله)" (رو ٣: ٢٤).

وغفر الله لإبراهيم واسحق ويعقوب، ولم يكن لهذا الغفران *قصاص*، وايضاً عندما يقول إشعياء النبي للشعب وهو يبدأ بالإنذار "تركوا الرب استهانوا بقدوس إسرائيل" (١: ٤) بل يرفض الرب الذبائح، و أن البخور صار "مكرهة لي" (١: ١٣) بل يرفض الله أن يسمع الصلوات "إن كثرتم الصلوات لا أسمع.." (١: ١٥) ولكن، لا يتوقف النبي عند ذلك بل يطلب التوبة.

إغتسلوا، تنقوا.. (١: ١٦).

بل هذا هو صوت الله نفسه الذي يجب أن يسمعه كل إنسان:

"هلم نتحاجج يقول الرب.

"إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض وتصير كالثلج.

إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف" (إش ١: ١٨).

هل جاء الله بكلام عن الغضب ؟، نعم في حالة عدم التوبة، هل جاء كلام من الله عن *قصاص* ؟ لا، بل تأكيد وكلمات النبي واضحة.

وأيضاً كما ورد في المزمور، هكذا يقول إشعياء أن السيد الرب سوف "يغسل قذر بنات صهيون وينقي دم أورشليم بروح القضاء (أي المحاكمة)وبروح النار أو الاحراق" للتنقية لا للموت (إش ٤: ٤).

هكذا يحاجج الرب في إشعياء مرة ثانية:

"يا سكان أورشليم.. احكموا بيني وبين كرمي. ماذا يصنع أيضاً لكرمي وأنا لم أصنعه له. لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنباً صنع عنباً رديئاً" (إش ٥: ٣) لم يتحرك غضب الرب لكي يوقع *القصاص علي* الخطية بل بدأ بإصلاح الكرم.

كان إشعياء مثل كل الخطاة ومع ذلك أعلن الله له شخصه المبارك. وهنا لم يعاقب الرب إشعياء الذي اعترف بأنه واحد من الخطاة (إش ٦: ٥) بل بالنار مس شفتي إشعياء "انتزع إثمك وكفر عن خطيئتك" (إش ٦: ٧) ولم يقدم الله ولا النبي ثمناً، ولم يعاقب.. الخ هذه كلها تصورات، العقاب والقصاص هي إسقاطات البيئة والنشأة السائدة في المجتمع وليست تعليم الكتاب المقدس.

لكن أنظر توبيخ النبي لجيل لم يتسلم الإيمان من الله ولا من الآباء ولا حتى من صلوات القداس التي تقال دون وعي.

يقول النبي:

"وتقول في ذلك اليوم (يوم الخلاص)، أحمدك يارب لأنه إذا غضبت عليَّ ارتد غضبك فتعزيني. هوذا الله خلاصي (وليس عقابي) فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً" (إش ١٢: ١ - ٢) والعبارة الأخيرة "ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً" كانت ترتل في مجامع اليهود في الأسكندرية ولما آمن هؤلاء بالمسيح دخلت صلوات البصخة في كنيستنا المقدسة (قوتي وتسبحتي هو الرب - يسوع هو يهوه مخلص - وقد صار لي خلاصاً).

كيف انتقلت خطية الإنسان إلى الله؟

هكذا وصل الأمر في تصور كاتب المقال أن الآب ينقل كل خطايا البشر ويضعها على المسيح كما لو كان لدى الله "مخزن خطايا للبشر" حتى تلك التي غفرها في العهد القديم، ويتحول موضوع الإيمان من مواجهة الإنسان لمحبة الله، إلى مواجهةبين الآب والابن، يصب فيها الآب غضبه المشتعل على ابنه الوحيد، ويصبح الآب هو العدل المشتعل بالغضب، وماذا عن الابن؟ هو الكفارة والفداء، وهذا يُقسم الثالوث غير القابل للإنقسام. لأن الإنقسام هو من ثمار الخطية ويصبح الله خاطئ تماماً مثل البشر، إنقسم على ذاته أي جوهره، واحد يعاقب والآخر تحت "الجلدات الحارقة".

"إذاً فكل لذة محرّمة يَقْبلها الإنسان قد دفع ثمنها السيد المسيح بالجلدات الحارقة في جسده المبارك تلك التي إحتملها.." (ص ١٩ - ٢٠).

أليست هذه هي السادية Sadism، أين وَرَدَ هذا التعليم في الأسفار المقدسة وصلوات الليتورجية، وكتابات الآباء معلمي الإيمان؟ سؤال نرجو الإجابة عليه.

صلوات التسبحة السنوية الخاصة بوحدة عمل الثالوث الواحد غير المنقسم الذي لا يعرف صراعاً مع كيانه

"من قِبل صليبه دخل الفرح إلى العالم" (مديح القيامة) ولم يحدث ما تصوره نيافة الأنبا بيشوي.

"نسجد للآب والابن والروح القدس في جوهر واحد (وحدانية الجوهر) (مديح القيامة).

"نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك أتيت وخلصتنا" (لبش الهوس الأول). ولا نقول لأنك عوقبت بدلاً منا.

"مبارك أنت بالحقيقة مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك أتيت وخلصتنا" (لبش الهوس الثاني)وأضف إلى هذه العبارة صلاة قسمة صوم الميلاد :

"الكائن (الابن له المجد) في حضنه الأبوي (الآب) كل حين.." وهو معلق على عود الصليب لازال في حضن الآب.

"رتلو للذي صُلب عنا وقبر وقام وأبطل الموت وأهانه" (أبصالية الثلاثة فتية) فكيف أبطل الموت ونيافة الأسقف يقول أن المسيح دفع الصك وهذه هي كلماته:

"ماذا يعني تمزيق صك الدين الذي كان علينا!! إلا إيفاء الدين تماماً بالصليب.." (ص ٢١). هل تمعن الأسقف في كلمات تحليل الساعة السادسة وهي صلاة للآب: نشكرك يا ملكنا ضابط الكل... أمحو عنا صك خطايانا المكتوب علينا. مزقته (أي الآب نفسه) في الساعة السادسة بصليب إبنك الوحيد. لو كان الأسقف قرأ العظة ٦ على رسالة كولوسي لوجد أن ذهبي الفم يسأل ما هو الصك الذي كان علينا ليشرح كلمات الرسول مؤكداً أنها فرائض الناموس وبعد ذلك يقول (صك العبودية، أي عدم الطاعة، الذي كان الشيطان يملكه لأن الله قال لآدم عن هذا الصك، "في اليوم الذي تأكل فيه من هذه الشجرة موتاً تموت" (تك ٢: ١٧). كأن الشيطان هو الذي يملك هذا الصك. ولم يعيد المسيح إلينا هذا الصك بل مزقه...).

وفي عظات الموعوظين يقول ذهبي الفم: (عليكم أن لا تعودوا مرة ثانية لكي تصبحوا تحت دين الصك القديم. لقد جاء المسيح ومرة واحدة عندما وجد الصك الذي بالمعصية كتبه آدم، المعصية الجدية بل ووقع عليه بإمضائه. وقع آدم في الدين وبالخطايا اللاحقة زاد الدين. في هذا الصك كتبت اللعنة، والخطية والموت ودينونة الشريعة. ولكن المسيح أمسك بكل هؤلاء وغفر الكل، ولذلك يصرخ القديس بولس عالياً "صك خطايانا الذي كان ضدنا، أخذه كله ورفعه وسمره في الصليب" (حسب الترجمة من اليونانية)، ولم يقل أن المسيح محا الصك ولم يقل أنه غفر بل سمره في الصليب، لكي لا تبقى له آثار ولا يعود له وجود ولذلك لم يمحوه بل مزقه...).

(العظة ٣: ٢١ ـ سلسلة آباء الكنيسة مجلد ٣١ ص ٦٣).

عجيب ألاّ يعرف الرجل أن تمزيق الصك يعني تماماً ما كان يحدث في سنة اليوبيل، وهي السنة السابعة في السنة الطقسية في العهد القديم، وهي السنة التي لا تُدفع فيها

الديون بل يطلق فيها سراح العبيد، ألم يقل الرب يسوع بفمه الإلهي وهو يقرأ نبوات إشعياء:

"روح الرب عليَّ لأنه مسحني

لأبشر المساكين

أرسلني لأشفي المنكسري القلوب

لأنادي للمأسورين بالإطلاق (لا لكي يصبح هو أسير ديون البشر).

وأرسل المنسحقين في الحرية (لا لكي ننال الحرية بالانتقام من البرئ)

وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لو٤: ١٨ ـ ١٩).

وكأن الرب يرى ملاذا سوف يحدث للتعليم الإلهي فقال: "إنه اليوم قد تم المكتوب في مسامعكم.." (لو٤: ٢١) سنة الرب المقبولة (لا ٢٥: ٨ ـ ١٧) التي جاء الرب بها. وعندما قرأ الرب يسوع بنفسه إشعياء النبي لم يقرأ آيات ٦١: ٢ "يوم انتقام إلهنا"، لأنه لم يأت لكي ينتقم لسبب بسيط، لأن الانتقام قد جاء في سنوات السبي البابلي، ثم جاء زمان السنة المقبولة مع مجئ المخلص (راجع العظة ١٢ على إنجيل لوقا للقديس كيرلس السكندري).

* لماذا نختم الهوسات "المجد للآب والابن والروح القدس.." أليس هذا هو التعليم الرسولي الذي تؤكده كل الصلوات؟، وأيضاً عندما نبارك اسم ربنا يسوع المسيح "لكي نسبحك مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك أتيت وخلصتنا" (أبصالية الأحد).

* لقد أضاء علينا الرب يسوع "نحن الجالسون في الظلمة وظلال الموت" (ثيؤطوكية الأحد) ولم يسقط هو في الظلام لكي نخرج نحن إلى النور، لأنه "هو شمس البر. شفانا من خطايانا" (ثيؤطوكية الأحد) ولم يعاقب لكي ننجو نحن.

* وحتى لا نخطئ بالمرة:

البخور الذي يؤخذ من المذبح يطهر الخطايا ويمحو الآثام. أي كلمة الله الذي تجسد فيك ورفع ذاته بخوراً إلى الله أبيه (ثيؤطوكية الأحد).

لكي يطهر الخطايا، لا لكي يحترق هو في نار العدل.

"هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا" (لا لكي *بجلداته الحارقة ننال الخلاص المدفوع الثمن* كما يقول الأسقف).

ولم يحترق الابن في نار العدل، بل كما تقول صلواتنا المقدسة:

"فتح باب الفردوس ورد آدم إلى رئاسته مرة أخرى" (ثيؤطوكية الأحد).

ويصل التعليم الرسولي إلى قمة الإحساس بعظم النعمة في ختام الثيؤطوكيات - مراحمك يا إلهي.

"لأنك أنت صالح ورحوم فلتدركنا رأفاتك سريعاً.."

"عمانوئيل إلهنا في وسطنا الآن، بمجد أبيه والروح القدس.."

هل حدث هذا بعد أن إنقسم الثالوث ودفع الابن الثمن؟ عيب أن نسلط سيف الخوف من الغرب، وأن يصبح السيف ثمرة التعليم الغربي نفسه مسلطاً لذبح الأرثوذكسيين الحقيقيين.

تأمل هذه الأيقونة الروحية من ثيؤطوكية الإثنين:

"إفرحوا وتهللوا يا جنس البشر

لأنه هكذا أحب الله العالم" (يو ٣: ١٦).

حتى بذل ابنه الحبيب عن المؤمنين لكي يحيوا به إلى الأبد.

ليس، لأنه فقد ضبط نفسه، وغلبه الغضب، بل

لأنه غُلِب من تحننه، وأرسل لنا ذراعه العالية

أشرق جسدياً من العذراء.. حتى خلصنا

ألا تكفي هذه الكلمة "أشرق" لأنه النور الذي نسجد له في صلاة باكر عندما نقرأ إفتتاحية إنجيل يوحنا **ولم يدفع الرب الصك بل مزقه.**

"لكي يرد آدم الإنسان الأول الترابي إلى الفردوس..

ويحل قضية الموت "إنك يا آدم تراب وإلى التراب تعود".

لأن الموضع الذي كثُرت فيه الخطية (لم يدفع فيه ثمن بل) تفاضلت فيه نعمة المسيح.

لقد جاء الرب لا لكي يدفع بل

ϨΙΝΑ ΝΤΕϤΒⲰⲖ ΕΒⲞⲖ

لكي يحل زلة آدم ويخلص من هلك (ثيؤطوكية الثلاثاء).

وخير ما نختم به كلمات التقوى الأرثوذكسية التي لا تعرف السادية بل تحاربها

"لأنك بإرادتك وحدك ومسرة أبيك الصالح (ليس الغاضب) والروح القدس (الذي له نفس المسرة بسبب وحدة الجوهر) أتيت وخلصتنا".

الفصل الرابع

هل تبرر الله؟

"كان لدينا مئات الأساطير عن آلهة تكذب وتخدع وتقتـل وتزنـي وتمـارس كـل الرذائـل، وكان لدينا تبرير لكل هذه التصرفات الشائنة، وكان الشباب يسمع هذه الأساطير ويحاول أن يقلدها... وجاء يسوع الناصري لكي يبرر الفاجر (رو ٤: ٤) ويعلـن أن الإلـه الحقيقـي بار لا يوجد فيه غش ومكر وكذب وأن بر الله أعلن لكي يعيد الإنسان إلى قبول الشرف والأمانة والصدق، لم يحاكم الله الإنسان عندما صُلب يسوع المسـيح، بـل حـاكم الإنسـان الإله المتجسد فظهرت حقيقة الإنسان بما فيها من كذب وخيانة وشهادة زور وخـوف مـن الإمبراطور وسلطان روما، ألم تكن هذه هي الأحداث والمشاهد التي خلقـت حلقـة حـول الصليب والمصلوب، كذب بطرس، خيانة يهوذا، الشهود الزور واليهـود الـذين قبلـوا أن يكون قيصر ملكاً عليهم لكي يصلب بيلاطس يسوع. هـذه المشـاهد حكمـت علـى كـل الأساطير التي ورثناها وأعلنت فساد الإنسان وصلاح الله"

(لوقيانوس الصوري ـ سقوط الآلهة ـ الفصل الثالث ـ فقرة ٧)

الله يبرر الخطاة بسبب محبته

هذه هي خلاصة الرسالة إلى رومية، الله يبرر الفـاجر (٤: ٤) نحـن تبررنـا بالإيمـان بربنـا يسوع المسيح (٥: ١) ولذلك يضع الرسول ثقة كاملة في موت الرب يسوع الذي "صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة (وليست بالمحاكمة) التي نحن فيها مقيمون" (٥: ٢).

* إعلان محبة الله بموت الرب يسوع يؤكده الرسول "ولكن الله بين محبته لنـا لأنـه ونحـن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو ٥: ٨).

وقد أسلم المسيح نفسه ليموت لأجلنا (وعنا ولأجلنا هي قضية جوفاء لأن الإيمـان يحكـم على اللغة، واللغة لا تحكم على الإيمان لأن الإنجيل ليس نصاً نزل من السماء، بـل هـو إعلان حياة جاء بها يسوع المسيح حياتنا، ولذلك يقول الرب "الكلام الذي أكلمكم بـه هو روح وحياة" (يو ٦: ٣٦) وهنا يقول الرسول لنا:

* "اسلكوا في المحبة كما أحبنا المسـيح أيضـاً وأسـلم نفسـه لأجلنـا قربانـاً" (١تس ٥: ١) والتشبه بمحبة المسيح هو الصَلب الحقيقي لنا معه.

* الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح (٢تي ١: ٧) روح المحبة هو روح الله "لأن محبة الله قد إنسكبت في قلوبنا بالروح القدس" (رو ٥: ٥).

* وعندما يقول الرسول يوحنا أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة (أي مطلقاً) (١يو ١: ٥)، وعندما نضع رغبة الإنتقام والتشفي نجعل الله مثلنا لأن البغضة هي ظلمة (١يو ٢: ٩). فكيف حفظ الله الخطايا السابقة بل والآتية حسب منطق القائلين بهذا، لكي يضعها على ابنه ساعة موته على الصليب؟

* البغضة هي ظلمة وموت.. "كل من يبغض أخاه فهو قاتل.. من لا يحب أخاه يبقى في الموت" (١يو ٣: ١٥ و ٣: ١٤) ولذلك لم يقف الرسول عند هذه العبارة بل يقول:

* "بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة" (١يو ٣: ١٦) ولذلك يا من تضع الصليب على صدرك هل أنت مستعد أن تموت عن خاطئ أو لأجل خاطئ، أم أن الصليب تحول عندك إلى عَلَم العدالة الأرضية والإنتقام وذبح الذين يختلفون معك... أليس هذا فهم خاطئ ينشئ لاهوت زائف يبرر العنف والقتل الروحي، وينزع عن الصليب مجد المحبة ويضع القسوة والتشفي بدلاً من المحبة.

* أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله وكل من يحب **فقد ولد من الله ويعرف الله** (١يو ٤: ٧). لو أن الرسول قال لنسلك بالعدل لأن العدل هو من الله، وكل من هو عادل فقد ولد من الله ويعرف الله، ولكن لأن العدل الذي يقول به الأنبا بيشوي ليس هو عدل الله (كما سوف نشرح بعد ذلك)، يقول الرسول: من لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة.. وقد رأى، رسول المسيح، ما سوف يحدث للتعليم الرسولي الذي لم يتسلمه جيل كامل عاش تحت ظلال عقوبات غير كنسية[1] ، لا يعرف ولا يرى إلا الغضب والانتقام باسم العدل.. لكن لنسمع كلمات الرسول يوحنا التي يؤكد فيها أن "من لا يحب لم يعرف الله".

* بهذا أُعلنت (أُظهرت) محبة الله فينا (وليس على الصليب فقط).

كيف

"أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به".

عجيب، ما هي المحبة إذن؟ يجيب الرسول نفسه، في هذا هي المحبة ليس أننا أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لأجلنا (١يو ٤: ٩ ـ ١٠).

---

[1] عقوبات مصدرها ليس القانون الكنسي بل حسب الرأي الشخصي.

حساب المحبة

* "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد عن المؤمنين به لكي يحيوا إلى الأبد" (ثيؤطوكية الإثنين).

* الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا (ولأجلنا حسب ترجمة الأمريكان وحسب الأصل اليوناني والترجمة القبطية) (رو ٥: ٨).

* بهذا عرفنا المحبة أن ذاك (يسوع) قد وضع نفسه لأجلنا (١يو ٣: ١٦).

* بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم.. (١يو ٤: ٩ ـ ١٠).

فأين هو عدل الله ـ حسب ما جاء في مقالة نيافة الأنبا بيشوي ـ فليس هناك نصاً واحداً من العهد الجديد يقول أن المسيح مات لكي يدفع الثمن، ولا نص آخر يقول أن الصليب أعلن عدل الله.

منطق عجيب!

"الله لم يشفق على ابنه حينما حمل خطايانا في جسده، بل أعلن غضبه على الخطية لكي تنال الخطية دينونة عادلة وهنا يتبرر الله كقدوس وكرافض للشر" (كتاب نيافته السابق ذِكرُه ص ١٢).

العجيب حقاً أن النص الإلهي خلف هذا المنطق الملتوي ورد في مزمور ٥٠ (٥١ حسب ترجمة الأمريكان) وجاءت هذه العبارة في صلاة داود النبي وحسب عنوان المزمور؛ مزمور لداود عندما جاء إليه ناثان النبي بعدما دخل إلى بتشبع (بعد أن زني و قتل زوجها).

لقد حكم داود على نفسه بالموت عندما أخبره ناثان بالظلم الذي حدث في إسرائيل بالمثل المشهور في (٢ صم ١٢: ١ ــ ٢٤). وبعد أن قال داود "حي هو الرب أنه يقتل" (٢ صم ١٢: ٢٥) وأجابه ناثان أنت هو الرجل.. لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه، قد قتلت أوريا الحثي.. وأخذت إمرأته. وجاء الحكم:

* **لا يفارق الشر بيتك**

* هكذا قال الرب **هأنذا أقيم عليك الشر**

وجاء اعتراف داود :

"قد أخطأت إلى الرب"

وجاء الصفح:

"**الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك لا تموت..**" (٢ صم ١٣: ٧ ـ ١٣).

كانت عقوبة القتل والزنى هي الموت.. هنا نقل الرب خطية داود معلناً أنه صفح عنه، لأن الشريعة بكل ما فيها قد وضعت لتنظم علاقة البشر ولكي تحفظ العلاقات الإنسانية، ولكن الله **ليس تحت الشريعة**، وهو الخطأ الذي يقع فيه البعض ويؤكد ذلك القديس بولس الذي يقول عن موت الرب يسوع وإعلان بر الله. "وأما الآن (العهد الجديد) فقد ظهر بر الله بدون الشريعة (الناموس)"[1] لأن موت المسيح على الصليب لم يكن حسب الشريعة، والقرينة سبق وقدمت للقارئ حيث أعلن الله محبته (راجع فقرة حساب المحبة).

"ظهر بر الله بدون الشريعة (الناموس) مشهوداً له من الناموس والأنبياء" (رو ٣: ٢١). وشهادة الشريعة هي الرموز التي لا تشرح النور، لأن الظل لا يفسر النور، والرمز لا يشرح الحقيقة، بل يشير إليها ولا يوجد رمز يستطيع أن يقول "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يو ٣: ١٦) ولا توجد رموز تقول أن الذبائح كانت تقدم نفسها، أي تتوافر فيها الحرية والمحبة، وقد شبع هذا الجيل من الغش في التفاسير التي تُخضع العهد الجديد كله للعهد القديم، وتضع رب الشريعة ورب السبت (مت ١٢: ٨) تحت سلطان الشريعة، وهو الفكر المسيحي الغربي السياسي، الذي خدم الحكومات الأوربية التي حكمت شعوبها باسم الإنجيل، ولوت عنق الإنجيل من أجل المصالح السياسية. أما شهادة الأنبياء فهي معروفة لنا عن مجئ "عمانوئيل".

لقد جاء الحكم لأن الخطية كانت علانية، ولأن العهد القديم كان يقوم على حكومة ثيؤقراطية يتنازل الله فيها عن العقوبة كما حدث مع داود، ولكن تبقى ثمار الخطية ظاهرة، إذ أدرك داود من قتل ابنه أبشالوم، وايضاً والزنى الذي تم في بيته أثناء هربه. وهكذا فإن العمل الشرير يرتد على صاحبه.

أما في العهد الجديد حيث لا توجد حكومة ثيؤقراطية بل ملكوت السموات حيث يملك يسوع المصلوب والحي بالروح القدس لكي يقدم التبرير المجاني لكل الخطاة. فإن الغفران المجاني ليس إطلاق سراح المذنب فقط بل تجديد الكيان الإنساني ـ شفاء الجسد والروح ـ رد الإنسان إلى ملكوت الله وحياة الدهر الآتي ومجد قيامة المسيح. هذه إعلانات العهد الجديد في يسوع المسيح التي لم تعلن إلا رمزياً في العهد القديم ولكن جاء الكمال في يسوع المسيح ربنا.

هل تبرر الله؟

---

[1] (الناموس كلمة أخذت من اليونانية وتعني القانون أو الشريعة) (رو ٣: ٢١)

عجيب أن داود يقول بعد هذه المواجهة:

* إرحمني يا الله حسب رحمتك.

* حسب كثرة رأفتك أمح معاصيَّ.

* إغسلني كثيراً من إثمي.

* إليك وحدك قد أخطأت.

وبعد ذلك

* لكي تتبرر في أقوالك (وهو الحكم الذي سمعه من ناثان) وتزكو في قضائك... لأنني حقاً خاطئ.

فهل يجوز أن نطبق هذا الكلام على الآب والابن؟

أيهما قتل وزنى؟ ومن الذي يُحاكم هنا الله أم داود؟

أيهما سمع حكماً بعد الاعتراف بالخطية.

عيب أن نضع الرب يسوع المسيح في ذات موقف داود ليس فقط لأنه رب داود بل لأنه قدوس وينبوع كل قداسة.

هل تبرر الله؟

حجة نيافة الأنبا بيشوي هي في كلمة واحدة في ترجمة الأمريكان:

"لم يشفق على ابنه" (رو ٨: ٣٢).

وخطأ الترجمة معروف لكل من يدرس الأصل اليوناني، ولأن الرسول بولس لم يكتب باللغة العربية وجب علينا العودة إلى الأصل اليوناني. وهل حقاً إنعدمت الشفقة من الآب عندما مات الابن على الصليب؟ وهل ضاعت المحبة عند الصليب! وحل محلها عدم الشفقة؟ وهل نسي الآب أن هذا هو ابنه الحبيب بل هو ابن محبته؟ (١تس ١: ٦).

الأصل اليوناني	ος γε του υιου ουκ εφεισατο
الترجمة الإنجليزية	He who did not spare his own son

والفعل جاء أولاً في الترجمة السبعينية لنص سفر التكوين (٢٢: ١٢) عندما يقول الله لإبراهيم عند تقديم إسحق ابنه لم **تمسك** (لم تبخل) ابنك وحيدك عني.

الأصل اليوناني لنص سفر التكوين ٢٢: ١٢ من الترجمة السبعينية

وحتى سياق الكلام في التعليم الرسولي[1] لا يسمح بالمرة لكي ننسب عدم الشفقة لله الآب، وهذا يظهر بوضوح فيما يأتي فلاحظ أيها القارئ:

أ ـ دعوة الله لنا في (رو ٨: ٨).

الله يعمل في كل الأشياء لخير الذين يحبونه..

ب ـ المجد الذي أعطي لكل المؤمنين بيسوع في (رو ٨: ٢٩ ـ ٣٠):

ـ مشابهين صورة ابنه.

ـ ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين.

فإذا كان الآب بلا شفقة على الابن فكيف يمكن بعد ذلك أن ننال حسب سياق الكلام: الذين..

ـ دعاهم

ـ بررهم

ـ مجدهم

كيف أثمرت عدم الشفقة، هذا المجد الإلهي، أي مشابهة الابن كعطية من الآب؟ كيف يجيء المجد، وهو العمل الإيجابي لله أي الشركة في مجد الله، من أصل سلبي، وهو عدم الشفقة. كيف يلد الشر الخير؟

أليست هي "السادية" التي تجعل الآب عديم الشفقة كما يقولون، وبالتالي يصبح الأسقف مثل الآب بلا شفقة، ونصبح نحن بلا رحمة، وبلا محبة، ولا شفقة.[2]

يا ليت كل مُعلِّم في الكنيسة يعود إلى اليونانية والقبطية لكي يشرح كلمة الله "مفصلاً بإستقامة" (حسب صلاة الأوشية) أي بالأرثوذكسية التي تخدم الإيمان.

---

[1] كان أول من لاحظ أن الرسول بولس يعيد إلى أذهان القارئ تقديم إسحق كمثال لتقديم الآب لابنه هو العلامة أوريجنوس في شرح سفر التكوين العظة ٨ (مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ١٢ ٢٠٨).

[2] لم يكن العلامة أوريجنوس وحده هو الذي أدرك رمز اسحق للرب يسوع بل جميع الآباء الذين اهتموا بالرموز الكتابية، مثل القديس إيريناوس وغيره (راجع ضد الهرطقات ٤: ٥ و٥) ودخل هذا الرمز في "قسمة ذبح اسحق" والنص القبطي كما ورد في صلاة القسمة وكما ورد في (رو ٨: ٣٢) لا يختلف بالمرة عن الأصل اليوناني.

ⲫⲏ ⲉⲧⲉⲙⲡⲉϥϯⲁⲥⲟ ⲉⲡⲉϥϣⲏⲣⲓ ⲙⲙⲓⲛ ⲙⲙⲟϥ — لأنه لم يبخل (يمسك) إبنه. الخ.

الله لم يتبرر بموت الابن المحيي على عود الصليب

لقد إستلم جيل بكامله معنى البر والتبرير من كتب حُشر فيها بشكل خاص الشرح القانوني لموضوع التبرير، وهو ما سوف نقدم دراسة شاملة عنه في أقرب فرصة. لكن هنا إزاء فكر أسقف دمياط وكفر الشيخ والبراري، يظهر لنا التعليم الرسولي كاملاً عن تبرير الخطاة، وليس عن استيفاء الله حقه والقصاص من الخطية.

ولاحظ أيها القارئ ما يلي:

١ـ لا يظهر في كل رسالة رومية وبالذات أصحاحات ٣ ـ ٥ الخاصة بالتبرير موضوع العدل واستيفاء العدل الإلهي حقه.

٢ـ لا يستخدم الرسول بولس كلمة "الغضب" لله الآب عندما يتكلم عن موت الابن المحيي لأجلنا.

٣ـ لا يوجد بالمرة شيئاً إسمه "*الثمن*" أو "*الغفران المدفوع الثمن*" هذه عبارات لا وجود لها في الكتاب المقدس ولا في كتابات الآباء ولا في كل تراث الأرثوذكسية، ولكنها عبارات استخدمها نيافة الأنبا بيشوي.

المفاجأة أنه يوجد العكس. وهذا هو تسلسل التعليم الرسولي كما يقدمه الرسول نفسه.

١ـ بأعمال الناموس كل إنسان (كل ذي جسد) لا يتبرر أمامه لأنه بالناموس معرفة الخطية (رو ٣: ٢٠).

إذا كانت أعمال الناموس وهي هنا الذبائح وشريعة التطهير من نجاسات الخطية... الخ لا تجعل الإنسان باراً أي مقبولاً لدى الله. واضح أن قبول الله للخطاة ليس حسب ما جاء في الناموس أو الشريعة.

٢ـ يصل الرسول إلى قلب التعليم الجديد عن العهد الجديد وأما الآن فقد **"ظهر بر الله"** (رو ٣: ٢١). لم يظهر قبل ذلك ولذلك إستخدم الرسول عبارة واضحة تبدأ بكلمة **"الآن"** (راجع رو ٣: ٢٦ ، ٥: ٩ ، ٦: ٢٢).

٣ـ" ظهر بر الله بدون الناموس" (رو ٣: ٢١).

لأن بالناموس كما قال الرسول معرفة الخطية لا القضاء عليها، وقد عاد الرسول إلى ذات النقطة عن عدم قدرة الناموس أن يبرر الإنسان في غلاطية ٢: ١٩ "لأنني بالناموس قد مت للناموس (حكم الموت على التعدي، الذي حسب بولس نفسه ميتاً) لكي أحيا لله.

وفعل" ظهر" هو Phaneroun أي أعلن جهاراً وعلانية Public.

ولأن الناموس لا دخل له بهذا الإعلان الجهاري فقد وجب علينا أن لا نعيد موت الرب يسوع إلى الناموس، لأنه تم بدون الناموس.

٤ـ "بر الله" وهو هنا حسب الاستقامة الأرثوذكسية بر الثالوث وليس بر الآب وحده.

الآب بار (يو ١٧: ٢٥).

الابن بار (أع ٣: ١٤، يع ٥: ٦، ١يو ٢: ١).

الروح القدس هو روح التبرير نفسه "تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (١كو ٦: ١١) ولذلك يقول الرسول أيضاً عن حياة الدهر الآتي التي تبدأ هنا "لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً. **بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس**" (رو ١٤: ١٧).

٥ـ بر الله بالإيمان بيسوع المسيح.. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح. وحتى لا نقع في ذات خطأ نيافته فإن كلمة "مجاناً" لم ترد في الأصل اليوناني بالمرة بل وردت الكلمة اليونانية δωρεαν أي ما هو حُر وبلا ثمن ويؤكد ذلك استخدام كلمة نعمة بعدها مباشرة χαριτι (رو ٤: ٢٤). وما هو بلا ثمن أو عطية مجانية حسب الأصل اليوناني ورد ٩ مرات في العهد الجديد:

مت ١٠: ٨، يو ١٥: ٢٥، ٢كو ١١: ٧، غل ٢: ٢١، ٢ تس ٣: ٨، رؤ ٢١: ٦، رؤ: ١٧.

* مت ١٠: ٨ مجاناً أخذتم، مجاناً اعطوا

هذه عطايا الله شفاء المرضى ـ تطهير البرص ـ إقامة الموتى.

* ويقول الرب يسوع عن اليهود "أبغضوني بلا سبب" (يو ١٥: ٢٥) أي بلا ثمن أي لم ينالوا ثمن بغضتهم.

* يقول الرسول "لأني بشرتكم مجاناً بإنجيل الله" (٢كو ١١: ٧).

* يقول الرسول "لست أبطل نعمة الله. لأنه لو كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب وحسب الأصل αρα χριστος δωρεαν απεθανεν مات المسيح بلا غاية.

* يقول الرسول "ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد" (٢تس ٣: ٨).

* يقول الرب "أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً" (رؤ ٢١: ٦) ثم يكرر هذا الكلام "ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً" (رؤ ٢٢: ١٧) هذا هو المجاني مواهب الشفاء ـ الكرازة بالإنجيل ـ نعمة الله ـ ماء الحياة.. يقدمها الرب يسوع أو الآب أو الروح القدس لأن أقانيم الثالوث لا تنفصل، وهي الأقانيم التي تقوم بالفداء.

٦ـ مجاناً بنعمته بالفداءالذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بـره (رو ٣: ٢٤).

إذا قدم الله الكفارة مجاناً بنعمته بفداء يسوع المسيح (حسب القـراءة الدقيقـة للـنص) وإذا صار شخص المسيح نفسه حسب كلمات الرسول كما في (١كـو ١: ٣٠) "ومنه أنـتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداءً" بات مـن المسـتحيل أن نتكلم عن ثمن يدفع للآب:

أولاً: لأن الآب هو الذي قدم.

ثانياً: لأن الابن ليس ثمناً بل شخصاً، الأقنوم الثاني في الثالوث.

ثالثاً: أن يسوع المسيح نفسه ليس فقط فداءً، بل هو نفسه كفارة حسب تعبير الرسول يوحنا "ليس أننا نحن أحببنا الله بل إنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" (١يو ٤: ١٠). هذا يضعنا أمام حقيقة معروفة لكل من درس تـاريخ العقيـدة المسـيحية، فقـد تراجـع شارحوا الكتاب المقدس ابتداء من القرن الرابع عشـر في الغـرب عـن شـرح تـدبير الخلاص على أساس المبدأين اللذين سُلما لنا من الرسل والآباء والذي أعلنته المجامع المسكونية وهما:

١: الخلاص هو عمل الثالوث الآب والابن والروح القدس.

٢: وحدانية جوهر الثالوث التي لا تسمح بالانفصال بل هي معلنة لكي تشفي انقسام الخطية الذي جاء مع سقوط آدم والذي به "دخل الموت إلى العالم" (رو ٥: ١٢).

وعندما ظهرت مدرسة الشرح القانوني لعقيدة الفداء في الغرب مع مطلـع القـرن الرابع عشر وتطورت **أولاً** بما تركه أنسلم Anselm من تراث. **وثانياً** بقيـام السـلطة الحاكمة الأوربية بمحاولة "تدجين" الإنجيل وإخضاع التعليم المسيحي برمتـه للفكـر القانوني الذي جاء من مدارس القانون الأوربي على يد جراتيان[1] Gratian.ولم ينتبـه أساتذة اللاهوت إن الضرر الذي أصاب العقيـدة المسـيحية بسـبب الفكـر القـانوني والشرح القانوني لموضوع الفداء إنما هـو ظـاهر بوضـوح في، المبـادئ القانونيـة، الـتي إعتمدت عليها مدرسة الشرح القانوني وهي:

---

[1] يوحنا جراتيان هو أكبر مُشرّع قانوني في العصر الوسيط، الاسم الكامل "يوحنا جراتيان" ولد في مقاطعة توسكاني وضـع أكـبر موسـوعة أوربية خاصة بالقانون المدني والكنسي في ١١٥١ عرفت باسم Decretum وهي التي أمدت أنسلم بفكرة تقديم الترضية راجع دراسة كـل مـن:

Stephan Kutler

Gratian and the schools of law (CS 185).

Stanley Chodorow

Christian Political Theory and church politics in the mid – Twelfth Century: The Ecclesiology of Gratian's Decretum (U.C.L.A.5).

أ ـ إنفراد الآب بالعلل يعني أن صفة العلل لم تكن في الابـن، علـى الأقـل عنـد صـلبه. وإختفاء أي صفة لاهوتية من أي أقنوم من أقانيم الثالوث يعني إنعدام المساواة، ويعني أيضاً إنعدام وحدة الجوهر وإنقسام حياة الثالوث الواحد.

ب ـ حصر موضوع الفداء بما حدث على الصليب، وحصر هذا في علاقـة الآب بـالابن، وهنا بالذات تظهر الأريوسية في شكل جديد، فالآب محتاج إلى فدية يقدمها لـه الابـن وهو بالتالي لا يملك هذه الفدية وليست لديه، ويطلبها من الابن الذي هو في وضـع من يُعاقَب بدلاً عن الخطاة، فهو بكل وضوح أقـل مـن الآب بـل أن الآب أقـل مـن الابن في الرحمة لأنه يعاقِب "ابنه الوحيد" بدون رحمة وبدون شفقة ـ كما ذكر نيافـة الأنبا بيشوي اعتماداً على قراءة غير أرثوذكسية لنص (رو ٨: ٣٢).

جـ ـ وغياب دور الروح القدس تماماً، فهو لا يظهر بالمرة لا عند الصليب ولا في الصـليب، ولا دخل له بالمرة بما حدث، رغم أنه هو الذي "كوّن" جسد الرب في رحم البتول، وهو الذي مسحه للخدمة فصار بالمسحة "المسـيح الـرب". وهـو الـذي كـان بقوتـه يُخـرج الابـن الشياطين، وهو الذي به قدم الابن دمه "بالروح الأزلي" (عب ٩ : ١٣)، وهو الذي أقـام الابـن من الأموات (رو ٨: ١١) وهو الذي أُعطى بواسطة الابن حسـب وعـده الإلهـي لكـي يكمّـل عمله. كل ذلك غاب تحت وطأة الشرح القانوني الذي صـار يُعـرف في كـل كتـب تـاريخ العقيدة المسيحية في كل جامعات أوربا "بنظرية البديل العقابي".

الصدام الآتي والذي لا محالة له مع الأرثوذكسية

هذه هي الخلفية التي تصطدم بكل عنف مع الحياة الأرثوذكسـية ومـع عقائـدها، ومـع الممارسة الليتورجية نفسها، التي كان من المفروض أن تُلهم نيافة الأنبـا بيشـوي ـ الـذي عندما يصلي ويرشم تقدمة الكنيسة باسـم الآب والابـن والـروح القـدس عنـد تقـديم الحمل، وعند استدعاء الروح القدس للتقديس ـ لأنه إنما يدخل دائرة اسـتعلان الثـالوث في تدبير الخلاص. ولاحظ أيها القارئ الأرثوذكسي أن الكاهن يقـول "وشـكر، وباركـه، وقدّسه" وكل كلمة تشير إلى أعمال الرب يسوع إنما تتم برشم الصليب، وعند استدعاء الروح القدس يرشم ثلاثة رشوم وهو يقول:

"هذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له". هي رشوم باسم الآب والابـن والـروح القـدس، وهي ذات صيغة التعميد، وأول رشومات مسحة الميرون المقدسة، وهـي هنـا كمـا في كـل الممارسات الكنسية، الصليب المحيي مُعلن محبة الثالوث، وختم الخلاص من الآب بـالابن في الروح القدس، لأن تدبير الخلاص هو تدبير الثالوث.

لكن دفع الثمن للآب بواسطة الابن يضع الخلاص خارج سر تدبير الخلاص كله، ويفصل بين الثالوث والصليب ويعزل تماماً كل تراثنا الأرثوذكسي الذي يبدأ برشم الصليب عند قبول الموعوظين، وبرشم الصليب في أول كل صلاة، وعند قراءة الإنجيل، وهو التسليم الرسولي الأسكندري الذي دونه العلامة أوريجنوس في العظة ١٦ على سفر حزقيال النبي.

ولاحظ أيها القارئ الأرثوذكسي غرابة هذا التعليم ليس فقط، لأن لا أصل له في الوحي المقدس وكتابات الآباء والممارسة الليتورجية، بل لأنه ضدها على خط مستقيم. وتأمل لماذا تُعطى مسحة الروح القدس بعد المعمودية برشم ٣٦ صليباً، أليس لأن الصليب هو ختم الثالوث؟ أليس لأن هذا الرشم يعود إلى كلمات الرب يسوع المسيح نفسه عن الصبغة التي سوف يصطبغ بها؛ أي الموت على الصليب المحيي (مت ٢٠: ٢٢، مر ١٠: ٣٨). وهكذا تأت الممارسة الكنسية لكي تؤكد ليس فقط وحدة عمل الثالوث القدوس، بل أيضاً شركة الثالوث في الخلاص، وفي الفداء والكفارة، وهو ما تُعلنه كلمات التقوى الأرثوذكسية وهي تخاطب الرب يسوع:

"لأنك بإرادتك وحدك

ومسرة أبيك والروح القدس

أتيت وخلصتنا."

الفصل الخامس

الثمن والدَين ومصطلحات السياسة والتجارة

"أنتم غافلون ونائمون على وسادة الأساطير القديمة التي لم تعد تصلح لتقويم سلوك الإنسان، لقد مضى زمان زيوس وفينوس ومارس... الخ هذه الأوثان القديمة نامت في عقول الناس ولم تعد مصدر إلهام بل صارت مثل المياه الراكدة التي لا يستطيع الحيوان العطشان أن يشرب منها. اغلق التاريخ دفتي الكتب عليها، وجاء يسوع الذي جاز بالصليب دهليز الموت والعالم السفلي (الجحيم) وعاد حياً يغزو بقيامته كل أشكال الحياة ويفتح التاريخ القديم والمعاصر والآتي أيضاً على شيء لم تكن الآلهة تملكه. هل تعرفون إسمه؟ إنه الميلاد من فوق أو الخليقة الجديدة أو التجديد، له جذر في التاريخ مثل الشجرة ولكن فروع هذه الشجرة تنمو وتجمع الكنيسة ثمارها، وهل بعد ذلك تبقى لهذه المعابد وهذه التماثيل رسالة، بكل تأكيد لا".

(لوقيانوس الصوري ـ سقوط الآلهة ـ الفصل الرابع ـ الفقرة الأولى)

"ما هو ثمن أي شيء ؟ نحن الذين نحدد الثمن حسب مقاييس وضعناها لكي تنمو التجارة وتكبر المدن، ولكن ما هو ثمن حياة تقدم مجاناً وبحرية ؟ وما هو ثمن المحبة وكيف نحدده ؟ ما هو ثمن شخص عزيز كريم وبأي مقياس تحدد ثمن ذلك العزيز الكريم ؟ هل لديكم جواب أيها السادة ؟ ما هو ثمن الكرامة ؟ وما هو ثمن الخيانة ؟. إن كان الموت هو ثمن جريمة الخيانة فما هو ثمن الأمانة والشرف ؟. لقد ضرب يسوع بموته كل جذر لكل فكرة ومبدأ لأنه جاء بما لم يكن في الحسبان".

(لوقيانوس الصوري ـ سقوط الآلهة ـ الفصل الرابع ـ الفقرة الثانية)

الثمن والدين والفرق بين اللاهوت والسياسة والتجارة

في أكثر من مرة كرر نيافة الأنبا بيشوي العبارات التالية تحت عنوان *"إنقاذ البشر من غضب الله"*: *أن السيد المسيح احتمل الغضب الألم الذي احتمله هو نتيجة الغضب المعلن ضد الخطية.*

الغفران في المسيحية ليس غفراناً بلا ثمن بل هو غفران مدفوع الثمن. والذي دفع الثمن هو السيد المسيح بدافع محبته لكي يخجل الخطاة بهذا الحب العجيب... (ص ١١).

وحاول نيافته سد العجز الواضح في شرحه، فقدم كلمات الرسول بولس في (١كو ٦: ٢٠) وأضاف إليها (١كو ٦: ١٩)، وكان الصحيح هو إضافة (١كو ٧: ٢٣)، وعنوان هذه الفقرة *"إنقاذ البشر من غضب الله"* هو عنوان مستوحى من تعليم أريوس، شيخ هراطقة القرن الرابع، لأن الذي ينقذ البشر من غضب الله، هو آخر غير الله، ليس له علاقة بهذا الغضب، بل الغضب ليس فيه هو، لأنه غير الله..!! أليس الابن من ذات جوهر الآب، ألا يغضب الابن مثل الآب تماماً ؟، أليس هو الكلمة خالق كل الأشياء (يو ١: ١-٣) ؟، أم أنه غريب عن جوهر الآب ولا علاقة له بخطايا البشر ولا يغضب عليها..؟!

لقد ذكرنا في الفصل الأول والثاني أن الغضب الإلهي ليس غضباً صامتاً بل هو غضب مُعلن، له علامات يحددها الله في عبارات واضحة. فهل أعلن الآب غضبه على الابن الوحيد ؟! إن غياب علامة أو لمحة عن غضب الله تُلزم كل إنسان أن لا يُلصق بالله الآب شيئاً لا وجود له، لا في تعليم الرب، ولا في التسليم الرسولي، ولا في التاريخ الكنسي، واختراع مثل هذا يجب أن لا يقابل بالصمت لأنه محض إفتراء لا يجوز قبوله، ولا يرضى به إلا المنافقون والجهلاء وضعاف العقول، الذين يسقطون فريسة سهلة للخوف والتهديدات بغضب الله.

ماذا يقول ذهبي الفم عن كلمات الرسول في (١كو ٧: ٢٣):

"لقد أشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس" هذه الكلمات موجهة ليس فقط لمن هم عبيد بل أيضاً لمن هم أحراراً، لأنه من الممكن أن تكون عبداً ورغم ذلك حر، أو أن تكون حراً ومع ذلك فأنت عبد. متى يكون العبد إذن ليس عبداً ؟ عندما يفعل كل شئ من أجل الله وعندما لا يتظاهر بأنه يخدم من أجل إرضاء الناس (أف ٦: ٦، كو ٣: ٢٢)... (راجع العظة ١٩ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٦١: ١٥٦ - ١٥٧).

أنظر أيها القارئ إلى شرح ألآية، لو كان الرب قد دفع ثمناً للآب لما غاب هذا عن فكر ذهبي الفم، فقد بحثنا عن هذه النقطة بالذات ولم نجدها. وحتى مُفسِّر الكنيسة المشرقية الآب ثيؤدوريت في شرح (١كو ٦: ١٩) يقول: "لقد أشتريتم بثمن: لقد سُفِك دم الرب لأجلنا وبذلك صرنا ملكاً لآخر"، ولنفس السبب يضيف بولس هذه الكلمات "كل الأشياء تحل لي" (١كو٦: ١٢) لكي يعلمنا أننا صرنا ملكاً لسيد آخر، وأننا يجب أن نخدمه حسب شريعته. وقد أضاف (بولس الرسول) "مجدوا الله في أجسادكم وأرواحكم التي هي من الله" (١كو٦: ٢٠). الله هو الخالق الذي خلق نفوسنا وأجسادنا، وهو لم يخلقنا فقط، بل

حررنا من سلطان وقوة الشيطان، لذلك يجب أن نمجده بالجسد والنفس، بأن نفعل ونقول كل ما يؤدي إلى تسبيحه. (شرح رسائل بولس ـ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٨٢: ٢٦٩ ـ ٢٧٢).

كيف غابت فكرة دفع الثمن *"والغفران المدفوع الثمن"* من كل عظات وتفاسير الآباء شرقاً وغرباً في القرون الخمسة الأولى؟ والجواب لأن هذا هو تعليم العصر الوسيط في الغرب الذي يهاجمه نيافة الأنبا بيشوي دون أن يدرك أنه هو نفسه غارق في هذا التعليم واللاهوت وفكره الذي يجمع بين إنسلم والفكر السياسي والتجاري الأوربي السائد في القرن الرابع عشر وما بعده، حتى أصبح السمة الواضحة من سمات المذاهب البروتستانتية في القرن الثامن عشر ليصل إلى مصر مع المبشرين الغربيين على النحو السائد في التراتيل العربية.

* ولعل أول ما يجب أن نلاحظه هو أن الفعل هو مبني للمجهول "أشتريتم بثمن" (١كو ٦: ٢٠ ـ ١كو ٧: ٢٣).

وشراء العبد ليصير من أملاك سيد آخر واضح جداً في كلام الرسول بولس، ويؤكده أيضاً قول القديس بطرس "ولكن كان أيضاً في الشعب أنبياء كذبة... إذ هم ينكرون الرب الذي إشتراهم" (٢بط ٢: ١).

* ويؤكد ذلك الرسول بولس نفسه لأنه افتخر بأنه "عبد ليسوع المسيح" وصار عبداً لأن المسيح إشتراه، واشترى هنا بمعنى إقتنى والاقتناء جاء في وعظ الرسول بولس نفسه إذ يقول عن الكنيسة "كنيسة الله التي إقتناها بدمه" (أع ٢٠: ٢٨). وينمو هذا التعليم لكي يصبح شعاراً يضعه الرسول في (رو ١٢: ١) "فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة"... لأننا نفعل ذلك نحن الشعب، الذي وُصِف بأنه "شعب إقتناء" (١بط ٢: ٩)، وحسب الممارسة الليتورجية الأرثوذكسية القبطية، بعد التقديس يشير الكاهن إلى التقدمة أو الصعيدة والكأس عندما يقول: "هذه التي إقتنيتها بالدم الكريم الذي لمسيحك".

إننا ننكر تماماً وجود هذا التعليم في الأسفار المقدسة وتراثنا الأرثوذكسي كله. وما أصاب التعليم الأرثوذكسي في هذا الجيل من محنة لا تخفى على أحد هو أن الآراء الشخصية للبعض صارت هي الأرثوذكسية، وهذا ما يعز علينا لأن هذه الآراء هي ضد الأرثوذكسية بكل تراثها.

الفكر السياسي والتجاري الأوربي

لا نريد أن نغرق القارئ فيما سُجل من دراسات أرثوذكسية وغيرها منذ مطلع هذا القرن، لأن الإحساس الروحي لدى كل أرثوذكسي يجعله قادراً على تمييز المبدأين:

أولاً: مبدأ القيمة Value

وهو الثمن الذي يحدد في بيع أو شراء السلع في الأسواق المحلية والعالمية. وكل دولة تحدد الثمن مع جاراتها حسب سعر السوق، حسب العرض والطلب، ويضاف إلى ذلك المشاكل السياسية والصراعات التي تدخل في تحديد قيمة وثمن السلع.

ما هي قيمة دم المسيح أو الثمن؟ ولاحظ هنا أيها القارئ الخلط الواضح في العبارات الخاصة عن دفع ثمن الخطايا *"غفران مدفوع الثمن" "ورد غضب الآب"*، واعتبار المؤمن قد أنقذ من العدل الإلهي كما ورد على (صفحات ١١ ـ ١٢) بل يقول:

"أن الله يريد أن يعلن نقمته وغضبه ضد خطية الإنسان. فمن يقبل أن يحمل المسيح خطاياه عنه، فإنه يرى بعينه الخطية وقد سمرت على الصليب. ويعلم بهذا أن خطاياه قد غفرت. يرى بعينيه الخطية وقد أدينت دينونة عادلة"... (كو ٢: ١٤).

* كيف يمكن دق المسامير في الخطية ؟!! الخطية هي حركة عقلية، مثل نظرة شريرة أو كبرياء القلب أو فكر التجديف، إنها كامنة في الداخل لا يمكن أن تسمر في الصليب. وإذا سمرت فهل تموت؟، وإذا غفرت بدق المسامير فهذه ليست دينونة بل غفراناً... وتصوير الخطية بهذا الشكل المادي يعود إلى مذهب المانوية، الذي أسسه "ماني"، حيث الشر له كيان خلقه إله الشر، والخير له كيان خلقه إله الخير. وحقاً لم يسقط نيافته في هذا التعليم الغريب ولكن نترك له البحث عن إسم معروف لرؤيةالشر كامناً في صورة مادية.

* وثمة قضية أكبر من كل هذا: من الذي حدد قيمة دم المسيح أو الثمن، هل هو الآب الذي لم يعلن لنا شيئاً بهذا الخصوص؟ أم لاهوت العصر الوسيط الذي بدأ بـ**أنسلم** وأصبح يرى في تقديم الترضية لإهانة الأمير والحاكم هو المبدأ الإلهي الذي يجب أن يأخذ الله به. وأصبح الملك هو "ظل الله على الأرض" هو المثال والمرجع الذي تقاس وتُرد له كل المعايير والقيم Values.

* والخطورة الحقيقية من كل هذا وذاك هو ضياع إعلان **المحبة الإلهية** في يسوع المسيح وبالروح القدس (رو ٥: ٥)، بل محاصرة هذه المحبة وإخضاعها لكل ما يمكن أن يتفنن به العقل من تعريفات Definitions ومحتوياتConcepts هي وليدة وثمرة الثقافة والسلوك الاجتماعي، وتعلن ما وصل إليه الإنسان بقدراته وتصوراته Imaginations وهي مهما كانت تعبر عن الطبيعة الإنسانية التي لم تشرب من نهر المحبة الأبدية الإلهية، ولذلك يقول الرسول يوحنا في صرامة لا تقبل المساومة ولا الجدال:

"من لا يحب لم يعرف الله، لأن الله محبة" (١يو ٤: ٨) وهي ذات كلمات الرب يسوع المسيح نفسه الذي قال لنا بفمه الإلهي:

إن أحببتم الذين يحبونكم، فأي أجر لكم (ما هو الامتياز الفائق أو الجائزة التي تريدون أن تنالوها). أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك" (مت ٥: ٤٦).

إذن حسب فكر العصر الوسيط، صار الله مثلنا تماماً، لم يعد لديه أي مستوى عال من القداسة والمحبة والسلوك السامي الذي يختلف عن سلوك الإنسان. لا يغفر إلاّ بعدَ أن يجلد، بل ويجلد البرئ كمن أصيب بالعمى، ولم يعد يميز أن المصلوب أمامه هو ابنه الوحيد الحبيب، الذي لم يعد كذلك بالمرة، بل صب عليه كل غضبه لكي يستريح أو حسب العبارة الشهيرة *"تنسم الآب رائحة الرضا"*.

ثانياً: المكافأة أو المجازاة Compensation and Reward

* تنازل فكر العصر الوسيط عن الإيمان بأن الآب خلق كل الأشياء بكلمته ربنا يسوع المسيح. الكلمة الخالق هو أيضاً مثل الآب والروح القدس له ذات صلاح ورحمة وعدل وقداسة الآب والروح القدس. فإذا كان الابن هو رب الخليقة مثل الآب والروح القدس، فكيف يمكن أن نتصور أنه هو وحده الذي يجب أن يقدم الترضية. وبعد أن يقدم الترضية للآب ويحمل "*عقوبة خطايا البشر*" من الذي يجب أن ينال المكافأة هنا ؟الإنسانية التي لم تقدم شيئاً ولم تفعل شيئاً. ومن الذي يجب أن يحصل على المجازاة الذي عمل أم الذي لم يعمل؟

لقد دار فكر العصر الوسيط حول نفسه في حلقات لا تنتهي، وقد وقع فيها نيافةالأنبا بيشوي ـ ربما دون أن يدري ـ في بئر اطلقوا عليه استحقاقات دم المسيح أو *"استحقاقات موت المسيح ويعطينا.. يمنحنا الغفران بإستحقاقات دم صليبه..."* (ص ٢٦). هذا التعليم غير المسيحي الوارد إلينا من ثقافة الغرب، والذي يدور حول كلمة Merits استحقاقات أو امتيازات أو مكافأة... الخ، حذفت تماماً وحدة جوهر الثالوث، التي سبق وأشرنا إليها. ولكنها لكي تقدم دليلاً مقنعاً يتناغم مع الحضارة والقيم Values التجارية، نادت بأن المسيح بسبب ما قام به من عمل فائق أصبح قادراً على أن يوزع من هذه الاستحقاقات Merits ويعطي الخطاة، وأول هذه الاستحقاقات هو الغفران المدفوع الثمن.

* هل لاحظت أيها القارئ تناقض الفكر: دفع المسيح الثمن واحتمل العقوبة، وهي عقوبة العدل الإلهي الذي يخص الآب ولا يخصه هو.. ثم بعد ذلك، يستطيع أن يوزع ما ناله الابن من مجازاة واستحقاقات. هكذا جاءت التجارة بأفظع ما يمكن أن يقال عن

المحبة الإلهية، ليس فقط لأنها تنازلت عن التعليم بأن الابن هو رب الخليقة، بل لأنها لاتتوافق مع مشاهد من خدمة الرب التي تضرب كل هذه.وتخلعها من الجذور:

أ ـ "اليوم تكون معي في الفردوس" (لو٢٣: ٤٣). ولو كان المسيح له المجد تحت دينونة الآب لعجز وهو على الصليب أن ينطق بهذا الوعد.

ب ـ غفران الخطايا مثل غفران المرأة الزانية في بيت سمعان الفريسي نالت مع غيرها من الذين تابوا غفران الخطايا.

وفي كل حالات غفران الخطايا قبل موت الرب يسوع لم يكن قد دفع الثمن ـ حسب شرح نيافة الأنبا بيشوي ـ ولكنه مارس سلطانه الإلهي في غفران الخطايا بل وإقامة الموتى وطرد الشياطين.

السلطان والاستحقاقات

* ولعل كل كلمات الرب يسوع نفسه في الأناجيل الأربعة، حيث يُعلن الآب ويقول "أيها الآب مجد ابنك" لا لكي يُسحق على الصليب (يو١٧: ١). ثم يقول الرب "إذ أعطيتهُ سلطاناً على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته (الذين يدعوهم الآب)" (يو١٧: ٢). أليس في كلمة "السلطان" ما ينفي تماماً كلمة "الاستحقاق" لأن السلطان ذاتي وخاص بأقنوم الابن، بينما الاستحقاق هو شيء مكتسب يضاف إلى الشخص ؟، ليسوع المسيح الذي وهو قبل أن يصلب كان له ذات سلطان الآب (مت٩: ٦)، "سلطان على الأرواح النجسة" (مت١٠: ١، مر٦: ٧، لو٩: ١) رغم أنه لم يكن قد هَزم الشيطان بعد في آخر معارك الحياة والنور مع الموت والظلمة أي عندما كان معلقاً على الصليب، وهذه هي عبارة الرسول "لكي (وهو في الجسد) و (على الصليب) يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس.." (عب٢: ١٤). إنه سلطان الرب الذي به رد الحياة للموتى **قبل صلبه** مثل لعازر وغيره. وعند هذه الكلمات الرسولية تسقط كل أوهام العصر الوسيط ومعه الفكر التجاري:

"شاكرين الآب الذي أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور،
الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته،
الذي لنا فيه (في شخص المسيح) الفداء بدمه غفران الخطايا،
الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة،
فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما علي الأرض،
الكل به،

وله،

قد خلق.

الذي هو قبل كل الأشياء وفيه (يبقى الكل في الوجود) يقوم الكل"

(كو ١: ١٢ ـ ١٧):

أ ـ نقلنا إلى ملكوت ابن محبة الآب، وهو ملكوت الابن كما هو ملكوت الروح القدس... هذا ليس استحقاق.

ب ـ الابن الخالق لكل الأشياء، الذي خلقت له كل الأشياء لا يأخذ سيادة عليها ولا يطلب سلطاناً، بل السيادة والسلطان له كخالق لأنه "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يو ١: ٣).

جـ ـ لنا فيه، في شخصه، والشخص هو هو أمس واليوم وإلى الأبد (عب ١٣: ٨) لم يأخذ شيئاً ليضاف إليه.

الدَين حسب شرح القديس أثناسيوس الرسولي

حشد الجماهير

لعل أفظع ما يقدمه إنسان هو أن يقتطع عبارة واحدة أو كلمة من نص أو فصل لكي يؤكد بها رأيه الشخصي، بينما يقول النص أو الفصل الأصلي عكس رأيه الشخصي. إذا جاز هذا الخداع في احتدام الصراع السياسي فإنه لا يجوز في الأمور والمسائل الخاصة بالعقيدة، لأن خداع الجماهير وحشد الاتباع هو الأسلوب الأريوسي الشهير الذي وصلنا من وثائق التاريخ الكنسي. وتاريخ الأريوسية كما كتبه معلمنا العظيم أثناسيوس يفضح هذا الأسلوب الذي له قواعده المعروفة:

١ـ إختيار فقرة أو عبارة سهلة موزنة (مُسجَعة) يرددها الدهماء ويختارها القائد لتكون شعاراً... اختار أريوس عبارات: "أقل من الآب"، "الآب أعظم منه"، "إنها خلقه الآب"... الخ.

٢ـ حشد براهين أو حجج سهلة، تقوم على إختيار كلمة من الكتاب المقدس أو من مصدر كنسي، تحدد إتجاه المدرسة أو المذهب، مثل "لأنه مولود لم يكن له وجود قبل أن يولد"، "ما هو مولود هو متغيّر"، وكلمة المولود شائعة، ولكنها ذات عدة دلالات مختلفة تؤكد واحدة منها أزلية الابن.

كان ذلك ـ كما نعرف ـ الأسلوب الذي أتُبع خلال حقبة إمتدت ربع قرن مع كل مؤلف ساهم بجهد كبير، مثل الأب القمص متى المسكين وغيره، وذلك بإختيار عبارة من هنا وهناك مقطوعة من السياق ومن شرح يشمل أحياناً كتاباً كاملاً.. هكذا ألزمنا نيافة الأنبا بيشوي، أن نقدم النص الكامل للقديس أثناسيوس، الذي يشرح الإيمان الأرثوذكسي ويقول عكس ما يقوله الأنبا بيشوي، وأن نوضح للقارئ ما هي أهم الاختلافات، بل وما هي دلالة هذه الاختلافات، وأثرها على الحياة الأرثوذكسية ولاهوت الأسرار، المعمودية ـ الميرون ـ الافخارستيا وهي "أسرار الإنضمام إلى الكنيسة" جسد المسيح.

أولاً: ما هو الدين

حسب القانون التجاري السائد في كل العالم، الدين هو "تبديد حيازة"، أي عندما يؤتمن إنسان على شئ ثم يبدده. وقد أعطى لنا الرب يسوع ذات التعريف دون أن يستخدم كلمة الدين، في مثل الوكيل غير الأمين الذي بدد حيازة سيد، وفي مثل الوزنات لم يبدد العبد الوزنة ـ بل دفنها ـ وسلّمها كما هي ومع ذلك فقد كان غير أمين على الوزنة لأنه لم يتاجر ولم يربح. وحسب دلالة هذا المثل وحسب تعليم الكتاب المقدس، كانت خطية هذا العبد هي "عدم النمو" والكسل والتقاعص عن التقدم.

هكذا كانت عطية الله الوافرة هي، خلق الإنسان حسب **الصورة الإلهية**، هذه عطية لم يكن للإنسان دوراً فيها، ولا هو صاحبها، ولعل القارئ قد لاحظ أن هذه العطية كانت بسبب صلاح الله. ولاحظ هنا بالذات "محورية" أو "مركزية" **صلاح الله**، فقد ورد في الفصول التالية حسب الأصل اليوناني بل وحسب الترجمة العربية الجديدة لكتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي (مركز الآباء ٢٠٠٢). الفصول ١: ١، ١: ٣، ٣: ٣، ٦: ٥، ٦: ٨، ٦: ١٠، ١٠: ١، ١١: ١، ١١: ٣، ١٢: ٦، ٢٠: ٣... إحدى عشر مرة على الأقل يؤكد فيها المعلم السكندري صلاح الله الذي خلق الإنسان من العدم، **صلاح الله** الذي يقول عنه:

"حتى تستطيع أن تدرك سبب ظهور (استعلان) كلمة الآب... ولكي لا تظن أن مخلصنا كان محتاجاً أن يلبس جسداً، بل لكونه هو الكلمة، فإنه بسبب صلاح أبيه ومحبته للبشر، ظهر لنا في جسد بشري لأجل خلاصنا" (١: ٣).

وصلاح الله هو الذي وهب الصورة للإنسان.

"الله صالح بل هو بالأحرى مصدر الصلاح. والصالح لا يبخل بأي شيء، لأن هذا مستحيل لأنه هو لا يحسد أحداً حتى على الوجود" (٣: ٣).

لقد كان صلاح الله وليس عدل الله، كما يتصوره البعض هو الذي دبر خلاص الخليقة، ولذلك يقول أثناسيوس "وأيضاً لأنه سيكون من غير اللائق بصلاح الله أن تفنى خليقته بسبب غواية الشيطان" (٦: ٥).

كان إهمال الخليقة وتركها في الموت والفساد، هو إعلان عن ضعف الله وليس صلاحه (٦: ٨)، بل لو ترك الله البشر "لينقادوا للفساد، اعتبر هذا عملاً غير لائق ويتعارض مع صلاح الله" (٦: ١٠). والفقرة الأخيرة (٦: ١٠) كانت هي المناسبة التي يقدم فيها أثناسيوس "عدل الله"، ولكن الإله الغاضب الذي *"يتقد من إنتظار الانتقام"* ليس هو إله المسيحية ولا هو إله ورب الخليقة الذي يؤمن به القديس أثناسيوس، ولذلك يقول

القديس أثناسيوس عن تجسد الابن له المجد: "في الحقيقة، فإن هـذا العمـل العظـيم هـو لائق بدرجة فائقة بصلاح الله" (١٠: ١). ولأن الله أعطى الصورة الإلهية بسبب صلاحه، فإن الله بسبب تحننه على الجنس البشري، لم يتركهم بلا معرفة لئلا يكون وجـودهم في الحيـاة بلا هدف (بلا أية منفعة) (١١: ١).

كانت عطية الصورة هي عطية صلاح الله "ولأنه صالح في ذاته فقد جعل لهم نصـيباً في صورته الذاتية، الذي هو ربنا يسوع المسيح، وخلقهـم علـى صـورته ومثالـه حتـى أنـه ـ بسبب تلك النعمة ـ عندما يرون تلك الصورة أي كلمة الآب، يمكنهم عـن طريقـه أن يصلوا إلى معرفة الآب.." (١١: ٣).

ثانياً: هل بدّد الإنسان النعمة ؟

يقول القديس أثناسيوس رداً على هذا السـؤال أنـه عنـدما سـقط الإنسـان في قبضـة الموت "كان الجنس البشري سائراً نحو الهلاك... كان الإنسان العاقل والمخلوق على صـورة الله آخذاً في التلاشي.." (٦: ١).

كان الإنسان قد خلق حسب الصورة لأن الصورة الحقيقية هي الإبن الكلمة ولـذلك نحن حسب تدبير الخلق نفسه فإننا نوجد ونحيـا حسـب الصـورة أي شـركتنا في الكلمة ربنا يسوع المسيح (تجسد الكلمة ٦: ٥). ولكن السقوط جاء بالموت والفساد. ولم يكـن تعـدي الإنسان مجرد عمل بلا نتائج بل جاء التعدي:

* بالفساد والموت.

كان خلق الإنسان من العدم هو ما يوصف في كتاب تجسد الكلمة "بالفسـاد الطبيعـي" (تجسد الكلمة ٤: ٣، ٥: ١). ولذلك عندما سقط الإنسان فقد الشـركة، و "نُزعـت مـن البشـر نعمة مماثلة صورة الله" (٧: ٤) وفقدان الصورة جاء من مصدرين:

الأول: **تدني الإنسان الدائم نحو الشر.**

الثاني: **فقدان الشركة في الكلمة.**

ولذلك السبب يقول المعلم السـكندري أن التجسـد كـان يهـدف إلى "تجديـد خلقـة البشر الذين خلقوا على صورته (الكلمة)" (١٣: ٧ ـ ١٩).

ويقدم القديس أثناسيوس التشـبيه أو المثـال الـذائع في الكتابـات المسـيحية عامـة في الفصل الرابع عشر، وهو تجديد الصورة. ولاحظ أيها القارئ تسلسل الشرح.

١ـ لو كانت هنـاك صـورة لشـخص مرسـومة علـى قمـاش مثبـت علـى لوحـة خشـب، وتلطخت هذه الصورة من الخارج مما أدى إلى إختفاء ملامحها.

٢ـ ففي هذه الحالة، لابد من حضور صاحب الصورة نفسه مرة ثانية لكي يمكن إعادة تجديد الصورة... ويجدّد الرسم.

٣ـ على هذا النحو فقد أتى إلى عالمنا كلي القداسة ابن الآب، إذ هو صورة الآب، لكي **يجدّد الإنسان** الذي خلق سابقاً على صورته.

وقبل ذلك، في الفصل الثالث عشر بعد أن عرض حالة البشر بعد السقوط يسأل القديس أثناسيوس:

"إذن فما هو الذي كان ممكناً أن يفعله الله؟ وماذا كان يمكن أن يتم سوى تجديد الخليقة التي وجدت على صورة الله.. ولكن كيف كان ممكناً أن يحدث ذلك إلا بحضور نفس صورة الله ـ مخلصنا يسوع المسيح... لهذا أتى كلمة الله بذاته لكي يستطيع وهو صورة الآب أن يجدد خلقة الإنسان على مثال صورته.." (١٣: ٧).

فما هو الدين إذن؟

كيف غاب من كل مؤلفات القديس أثناسيوس موضوع إيفاء العدل، وإحتمال القصاص، وقبول العقوبة التي ينزلها الله الآب بإبنه. كيف غابت كل هذه المصطلحات والمحتويات عن كتاب يقع في ٥٧ فصلاً لا يحتوي بالمرة على أي إشارة إلى *غفران مدفوع الثمن*...

وإذا درسنا الفقرات التي ترد فيها كلمة "الدين" وجدنا الجواب الذي يقدمه المعلّم العظيم في الفصل التاسع وأيضا في الفصل العشرين.

في الفصل التاسع يقدم أثناسيوس الشرح الأرثوذكسي على هذا النحو:

١ـ لم يكن ممكناً أن يقضي على فساد البشرية بأي طريقة أخرى سوى الموت عن الجميع[1].

٢ـ إتخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت.

٣ـ عندما يتّحد الكلمة بهذا الجسد، ولأن الكلمة هو فوق الجميع، يصبح من اللائق ليس فقط أن يموت عن الجميع بل وأن يبقى في عدم فساد بسبب إتحادالكلمة به.

٤ـ قدّم الكلمة جسده للموت، ولاحظ أيها القارئ صفات الجسد "أنه جسد الكلمة الخاص به ـ تقدمة مقدسة وذبيحة خالية من كل عيب"[2] (٩: ١). غابت هذه المفردات

---

[1] الترجمة العربية الجديدة "نيابة عن الجميع" لا تطابق الأصل اليوناني.

[2] لاحظ أن كلمة "العيب" وحل من العيب هي من الكلمات الطقسية الخاصة بتقدمه الحمل في طقسنا القبطي. وهي تجرد كل محاولة لوضع خطايا البشر بشكل ملتوي على "الحمل الذي بلا عيب".

عن التعليم اليوم وعن الشروحات، فكلاهما يعتقد أن الخطية وضعت بشكل مادي محسوس على المسيح، وأن الآب عند ذلك انتقم وصب غضبه على الابن المصلوب.

٥ـ وعندما بذل جسده "رفع الموت فوراً عن جميع نظرائه من البشر" (٩: ١).
تجديد الإنسان، ورفع الموت، هو قلب الشرح. فقد إتحد الكلمة بجسد قابل للموت، وعندما مات بجسد مقدس خال من العيب، نفذ فيه حكم الموت ورُفع حكم الموت عن جميع البشر، وليس عن المؤمنين فقط حسب تعليم يوحنا كالفن المعروف باسم الكفارة المحدودة.

الفقرة الخاصة بالدين في الفصل التاسع

"لأن كلمة الله هو فوق الجميع فقد كان لائقاً أن يقدّم هيكله الخاص وأداته البشرية فدية عن حياة الجميع موفياً دين الجميع بموته". وهنا يقصد القديس أثناسيوس:

"الكلمة فوق الجميع" = الحياة الإلهية المتحدة بالجسد.

ويشرح أثناسيوس نفسه بعد ذلك في الفقرة التالية:

"عندما يدخل أحد الملوك العظام مدينة عظيمة ويسكن في أحد بيوتها، فإن المدينة كلها تكرّمه أعظم تكريم. ولا يجرؤ أي عدو أو عصابة أن تدخل إليها... بل على العكس تكون جديرةبكل عناية واهتمام بسبب سكنى الملك في أحد بيوتها، وهكذا كان الحال مع ملك الكل".

لأنالكلمة هو رب الخليقة، فهو يعلو عليها ـ فوق الجميع، وعندما قدم هيكله عن حياة الجميع "موفياً دين الجميع بموته" لا توجد إشارة ولو ضمنية للعدل أو إطاعة للآب الغاضب ـ والأهم من كل هذا أنه لا توجد أي إشارة إلى أن الابن دفع الدين للآب، وهو جوهر تعليم نيافة الأنبا بيشوي، بل كما ذكرنا يوجد العكس، بدليل من كلمات المعلم السكندري لأنه بعد أن يذكر إيفاء الدين يقول "وهكذا باتخاذه جسد مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم فإن ابن الله عديم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بوعد القيامة من الأموات.. ثم يذكر بعد ذلك دخول الملك العظيم ويضيف في الفقرة التالية:

أبطل فساد الموت الذي كان سائداً على البشر..

ثم مَثَل أو تشبيه آخر في الفصل العاشر:

"إذا أسس ملك نزلا أو مدينة ثم بسبب إهمال سكانها حاربها اللصوص، فإنه لا يهملها قط... لأنها صنعة يديه يخلصها... هكذا... فإن كلمة الآب كلي الصلاح لم يتخل عن الجنس البشري.." (١٠: ١).

"بل أبطل الموت".

ويظهر معنى كلمة الدين بشكل أفضل في الفصل العشرين، إذ يقول القديس أثناسيوس:

* سبب ظهور الكلمة في الجسد "لأنه لم يكن ممكناً أن يحول الفاسد إلى عدم فساد إلا المخلص نفسه، الذي منذ البدء خلق كل شيء من العدم".

* لم يكن ممكناً أن يعيد خلق البشر ليكونوا على صورة الله، إلاّ من هو صورة الآب.

* لم يكن ممكناً أن يجعل الإنسان المائت غير مائت، إلاّ ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها.

١ـ هذا التحول الكبير من فاسد إلى عدم فساد.

٢ـ إعادة خلق البشر من جديد ليكونوا على صورة الله.

٣ـ أن يصبح الإنسان المائت غير مائت.

هذا هو عمل الكلمة الذي هو فوق الجميع لأنه هو الحياة ذاتها.

هل قدم نيافة الأنبا بيشوي هذا التعليم في نبذته؟ الجواب لا، لم يقدم.

ثم نأتي إلى العبارة الخاصة بالدين.

"ولما كان من الواجب وفاء الدين المستحق على الجميع... لأن الجميع كانوا مستحقين الموت، فلأجل هذا الغرض جاء المسيح بيننا".

ويا ليت القارئ يعرف قواعد إعراب اللغة اليونانية لكي يدرك أن وفاء الدين = الموت.

مجئ المسيح = لكي يحول الإنسان ويجدده.

والدليل على ذلك هو العبارات التالية في نفس الفقرة:

"قدم ذبيحته عن الجميع"

"أسلم هيكله للموت عن الجميع"

ويصبح الدين كما يقول القديس أثناسيوس :

أولاً: لكي يبررهم ويحررهم من الخطية الأولى

ثانياً: لكي يثبت أنه أقوى من الموت.. وأنه باكورة القيامة (١٠: ٢).

تحذير القديس أثناسيوس نفسه.

بعد أن شرح القديس أثناسيوس التعليم الرسولي يقول للقارئ :

"طالما أننا نحن نتحدث عن مشورة الله الصالحة من جهتنا فيجب علينا أن نشرح المعنى الواحد بطرق عديدة، حتى لا يبدو كأننا تركنا أي شيء بدون تفسير، فنُتهم بالتقصير أو بالعجز في معالجتنا لأمور هامة كهذه (الإيمان). لأنه من الأفضل لنا أن نُتهم وننتقد بسبب التكرار من أن نترك أي شيء كان يجب أن نعرضه بوضوح (٢٠: ٣).

أنظر أيها القارئ:

أليست كلمة **" الدَين"** = **تبديد الصورة الإلهية.**

التي يقدمها المعلم السكندري العظيم، هي أحد الوسائل لشرح يتكرر فيه التعليم بوضوح شديد. فما هو جوهر هذا التعليم الرسولي الآبائي! ، لأننا لا يجب أن نحذر من الخطأ ونرد عليه، بل يجب أن نشرح الصواب أيضاً.

الفصل السادس

التعليم الرسولي الخاص بموت الرب يسوع على الصليب كما شرحه القديس أثناسيوس

"إذا سألتم أي وثني عاش في مدينتنا (صور) عن "الحق" فإنه سوف يشير إلى القانون إن كان متعلماً، لأن الناس عندنا يعرفون أن الحق هو القانون، وإذا كان من السوقة والدهماء فهو سوف يضحك من السؤال: لماذا الحق؟ وأين هو؟ ولكن إذا سألتم مسيحياً عن الحق قال لكم على الفور "الحق هو المسيح" الإله المتجسد الذي أعلن الحق بتجسده وثبته بالموت على الصليب وجعله خالداً بالقيامة. وماذا يقصد أي مسيحي بقوله أن المسيح هو الحق؟ إنه بكل تأكيد يشير إلى محبة الله الآب التي أعلنت الحق بالتجسد ويقصد أيضاً شركتنا في هذا الحق عندما نسلك حسب هذه المحبة. هكذا نقل يسوع بحياته أولاً ثم بالتعليم ثانياً ثم بالممارسة ثالثاً كل ما هو مجيد ونافع ومؤثر في الحياة الإنسانية، فهل أعطت الأساطير القديمة ذات العطية؟ أنتم تعرفون الجواب. لقد عجزت عن العطاء ولذلك ماتت هذه الآلهة العقيمة يوم تحولت إلى حجر ومعدن أما يسوع فقد ظل الإله الحي في أعماق النفس لأنه الإله الحي الذي قام من القبر معلناً خلود المحبة ومجد الإنسان هنا وفي حياة الدهر الآتي".

(لوقيانوس الصوري ـ سقوط الآلهة ـ الفصل الخامس ـ الفقرة الأولى)

الموت ثمرة الخطية والخطية ثمرة الموت.

لعل أكبر الأخطاء التي وقع فيها هذا الجيل هي تحديد الخلاص بأنه، خلاص من الخطية، وليس خلاصاً من أهم مشكلة جاءت بها الخطية، وهي الموت، ثم الموت الذي جاء بخطايا كثيرة. هذه العلاقة العضوية بين الخطية والموت تؤكد لنا أن القضاء على أيهما يعني القضاء على الآخر. إذا أبيد الموت تحولت الخطية من قدرة أو قوة تدفع الإنسان نحو الموت إلى قوة فاشلة وعاجزة، وبالتالي تفقد الخطية قدرتها تماماً. وقد لخص الرسول بولس تعليم الرب في ١٠ أعداد (رو ٥: ١٢ ـ ٢١).

إلاّ أن تجاهُل التعليم الرسولي جاء من التشبع بحركات النهضة البروتستانتية في أوربا، التي كانت تهدف إلى تقديم المواطن الصالح لكي تسير عجلة وحركة الصناعة، بل

والاستعمار مع مطلع القرن الثامن عشر. وتركت أوربا موضوع الموت تماماً ـ طبعاً المواطن الذي لا يدخن ولا يسكر... الخ هو بلا شك عمل جيد، لكنها نمّت الاتجاهات الأخلاقية من خلال الوعظ ضد الخطية، وترك الوعاظ موضوع الموت في أشكاله المختلفة كما قُدمت وشُرحت في الكتاب المقدس والتاريخ المسيحي، وهي ثلاثة أشكال:

* الموت الطبيعي أو البيولوجي

* موت الخطية الذي أصاب النفس والجسد

* الموت مع المسيح في المعمودية

الموت الطبيعي أو البيولوجي هو نهاية الحياة الإنسانية على الأرض، ولا علاقة له بالخطية لأن الإنسان ـ كما يقول القديس أثناسيوس "خلق من العدم" ولذلك هو فانٍ ـ حسب خلقه من العدم (تجسد الكلمة). ولا يجب أن يغيب عنا هذا التمييز الدقيق بين أشكال الموت الذي لم يدركه البعض.

يضع الرسول بولس الأساس الرسولي للتمييز بين الموت الطبيعي أو البيولوجي وموت الخطية على هذا النحو:

١ـ بإنسان واحد (آدم) دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت، هذا يؤكد لنا العلاقة العضوية بين الخطية والموت.

٢ـ وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس أذ **أخطأ الجميع بالموت**. ونص رومية ٥: ١٢ حسب المخطوطات اليونانية القديمة، وبالذات نص الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، يقدم لنا نهاية الجملة بشكل مختلف[١].

والنقطة الأساسية في كل الدراسات الحديثة الخاصة بهذا الموضوع هي، أننا ورثنا الموت من آدم وحواء دون أن نشترك في ذات خطية آدم[٢]. وقد ذكر القديس أثناسيوس نفسه ذات التعليم في المقالة الثالثة ضد الأريوسيين فقرة ٣٣.

"تقدس كثيرون وكانوا أطهاراً من كل خطية، مثل أرميا الذي تقدّس من بطن أمه، ويوحنا المعمدان الذي عندما كان في الرحم ركض بفرح عندما سمع صوت مريم والدة الإله، إلاّ أنه على الرغم من ذلك ملك الموت من آدم إلى موسى على كل الذين لم يخطئوا شبه تعدي آدم (رو ٥: ١٤)، وهكذا ظل الإنسان مائتاً وفاسداً.."

---

[١] راجع دراسة أستاذ الكتاب المقدس الأب الكاثوليكي Joseph A Fitzmyer في شرح رسالة رومية Anchor Bible مجلد ٣٨ ص ٤١٢ ودراسة الأب الأرثوذكسي ـ أستاذ التاريخ الكنسي في معهد القديس فلاديمير ـ الأب جان مايندروف (J. Myendorff, Byzantine Theology 1987, PP 143 – 146).

كذلك دراسة الأب جون رومانيوس ـ الخطيه الحديه نشر باليونانية والإنجليزية والألمانية والفرنسية.

[٢] راجع أيضاً د. جورج حبيب بباوي. القديس أثناسيوس في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي ـ القاهرة الطبعة الأولى.

وفي بردية قبطية تحتوي على أسئلة وأجوبة، أجاب عليها القديس كيرلس السكندري.

- "أنثيموس: هل يدخل الأطفال الذين يموتون قبل المعمودية إلى ملكوت السموات".
- "بكل تأكيد الملكوت هو لهم، لأنهم يحسبون للملكوت منذ لحظة تكوينهم في أرحام أمهاتهم. وبالإضافة إلى ذلك إذا كان الجذر مقدساً فكهذا تكون الأغصان، لأن الذي يقدّس والمقدسين هم من واحد وهو المسيح"[١].

ومن التاريخ المسيحي عامة والقبطي خاصة، ومن قواميس المصطلحات اللاهوتية القبطية واليونانية، لا نجد بالمرة تعبير أو مصطلح "الخطية الأصلية" بل لدينا:

* الخطية الجدية القديمة أو الأولى[٢].

* الخطية الأولى وهو التعبير العام عند معظم الآباء.[٣]

* دخل تعبير الخطية الأصلية في المؤلفات العربية في مطلع القرن العشرين، مثل كتاب علم اللاهوت النظري ـ القمص ميخائيل مينا، وساد في مؤلفات الذين كتبوا بعده. وعندما وجد بعض الأقباط أن البروتستانت والكاثوليك ينادون بتعليم الخطية الأصلية، ظنوا أن هذا الإجماع هو تعليم الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، وهكذا أصبح كل من يحاول العودة إلى تعليم الآباء هو هرطوقي، لكن للأسف من يقول بهذا التعبير لا يستند إلى التاريخ أو البحث الدقيق.

رجاء إلى أصحاب العلم الوافر واللاهوتيين في الكنيسة القبطية، أن يقدموا لنا نصاً واحداً قبطياً أو يونانياً أو عربياً قبل القرن العشرين، يقول أننا في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية نؤمن بوراثة الخطية من آدم، بينما الحق والتاريخ يقول، أننا ورثنا الموت والفساد الطبيعي، أي عدم القدرة على البقاء في الحياة بقدراتنا الذاتية، ولذلك يذكر العلامة السكندري ديديموس الضرير:

"لا يوجد أحد بالطبيعة شرير أو صالح" (شذرة على سفر المزامير مجلد ٣٩: ١١٦٠).

---

[١] نشر البردية عالم الدراسات القبطية W. Crum وحقق النص Ehrhard في مجموعة البرديات الخاصة بالقرن الرابع والسابع.
Der Papyrus codex Saec. VI – VII der Phillipus Bibliothek in Cheltenham. Strassburg. PW, 1915

[٢] ديديموس الضرير (الثالوث ٢: ١٢، ١٧ مجلد ٣٩: ٦٨٤ ـ نفس المجلد عامود ٨٧٦.

[٣] راجع مقالة الخطية الأصلية ـ دائرة المعارف الكاثوليكية ـ مجلد ١٢ ـ عامود ٤٠٤ ـ المقالة بالفرنسية ودراسة أستاذ التاريخ الكنسي M. Jugie في مجلة الدراسات الخاصة بالقديس أوغسطينوس مجلد ١٦ عام ١٩١٠ ـ صفحات ١٦٨ ـ ١٦٩.
Le Dogme du Pache Onginal dans L'Eglise Grecqe.

وأيضاً بحث الآب مايندروف "Eφω Rom 5: 12. Che2 Cyrile d'adexandrie" عن نص رومية ٥: ١٢ في مؤلفات القديس كيرلس السكندري ـ مجموعة الداسات الخاصة بمؤتمر آباء الكنيسة ـ جامعة أوكسفورد مجلد ٤ ـ عام ١٩٦١ ص ١٥٧ ـ ١٦١.

ولا يعرف الذين ينادون بأن الأطفال الذين يولدون ويموتون بـدون معمودية يـذهبون إلى جهنم، إنهم تبنوا تعليم مجمع أورانج Orange الغربي الـذي عقـد في سـنة ٥٢٩. وأصدر ٢٥ فصلاً ضد تعليم الذين إختلفوا مع القديس أوغسطينوس الخاص بوراثـة الخطيـة. وقبل البابا بونيفاس Boniface الثاني قرارات هذا المجمع في ٥٣١ راجع تاريخ المجـامع Hefele المجلد الثاني ـ ١٩٠٨ صفحات ٤٣٣ ـ ٤٥٢.

رفض الآباء الشرقيون تحديـد مصـير الـذين يموتـون بـدون معمودية، وقـال العلامـة ديديموس الضرير أن مصير هؤلاء معروف لدى الله (شرح إنجيل يوحنا مجلد ٣٩: ١٧٩٢).

بل ولعل القارئ الذي درس شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلـس السـكندري وشـرح نص يوحنا ٩: ٢ "لا هذا أخطأ ولا أبواه" إذ يرفض القـديس كيرلـس السـكندري فكـرة وراثة الخطية (يو ٩: ٢ ، مجلد ٢: ١٣٨ ـ ١٤٩). بينما يشرح القـديس أوغسـطينوس الـنص بشـكل مختلف تماماً ويقول أن كل إنسان يرث الخطية (عظة ٤٤ على إنجيل يو ٩: ٢ ـ ٤ ـ مجموعة الآبـاء اللاتـيني مجلد ٣٥: ١٧١٤).

لماذا نعمد الأطفال؟

حسب تعليم الكنيسة الشرقية، كما ورد كله في كتاب خدمة سر المعمودية الخـاص بنـا وبكل الكنائس الأرثوذكسية:

١ـ الانضمام إلى الكنيسة جسد المسيح.

٢ـ تحرير الطبيعة الإنسانية من سلطان الشيطان والموت.

٣ـ قبول نعمة وسكنى الروح القدس في عطية التبني.

٤ـ شركة ملكوت السموات.

لأن التعليم السلبي بغفران الخطايا وبالذات خطية آدم الأصلية لا يصلح وحده لشـرح عظمة هذا السر.

رومية ٥: ١٢ ـ ٢١.

أعتذر للقارئ عن قطع الشرح بما أضفناه من ملاحظات تاريخية كان لابد منهـا، ولكـن نعود للقديس بولس:

"فإنه حتى الناموس كانت الخطية في العالم " (٥: ١٣).

"على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس."

سبقت الخطية نزول الشريعة، لكن حُسبت الخطية كتعدي بعد نزول الشريعة، أي تعدي الناموس المعلن، أما قبل ذلك فكانت تعدي الناموس الطبيعي، الذي كتب في قلب الإنسان وأعاد الله كتابته بالناموس المعلن بالأنبياء.

"ملك الموت من آدم إلى موسى" (٥: ١٤).

ملك على الكل، رغم أن الفترة من آدم إلى موسى لم يكن فيها ناموس معلن بواسطة الأنبياء. وبسبب الدقة التامة في كلمات الرسول نضع هنا أمام القارئ أقدم شرح لرسالة رومية:

"الموت الذي دخل بواسطة الخطية هو بدون أدنى شك هو الموت الذي تحدث عنه النبي عندما قال "النفس التي تخطئ تموت" (حز ١٨: ٢٤).

وهنا يتحتّم علينا أن نقول "أن موتنا الجسداني هو ظل للموت الروحي" (العلامة أوريجنوس ـ شرح رسالة رو ٣: ٤٤ و ٥٠).

وهنا نرى الفرق بين الموت الروحي (موت النفس) موت الخطية، والموت الجسداني الذي هو ظل يتبع الأصل أي الموت الروحي. ونظراً لأهمية هذه النقطة بالذات نعود إلى ذات شرح العلامة أوريجنوس:

"إذا إعترض إنسان ما، وقال بأن المخلّص لم يمت وأن نفسه لم تمت لأن نفسه لم تخطئ، فإننا نجيب ونقول بأنه رغم أن المخلّص لم يخطئ، إلاّ أنه عندما أخذ جسداً بشرياً قيل أنه صار ذبيحة خطية، ولأن المخلّص لم يمت بأي وسيلة خارجية، ولم يكن مستعبداً لأحد، إلاّ أنه من أجل خلاصنا تطوّع حراً أن يأخذ ويقبل ذلك الظل (الموت الجسداني) حسب تدبير تجسده وقد أكد هو بنفسه ذلك عندما قال "لي سلطان أن أضع نفسي وسلطان أن آخذها (أستردها) أيضاً" (يو ١٠: ١٨) (شرح رسالة رومية المرجع السابق ٣: ٤٤ ـ ٥٢).

موت النفس

"علامات موت النفس حسب تسليم الشيوخ الذين سلّمونا الإيمان والحياة النسكية هي:

١ـ عدم قبول الحق الذي من الله بسبب جهل الإنسان، لأن الجهل هو ثمرة موت النفس، فهو ظلام الفكر والقلب.

٢ـ رفض الحق حتى الظاهر منه، لأن النفس خلقت لنفسها شريعة خاصة بها، غير شريعة الحق التي أعلنها الله في القلب، ثم أكدها بتعليم الأنبياء وبإعلان الشريعة بواسطة

عبده موسى. إن رفض الحق هو من علامات انفصال النفس عن الله مصدر الحق ويتبع ذلك تصديق الكذب.

٣ـ سيادة البغضة والكراهية على القلب والإرادة والفكر، وإنعدام الحس بخطورة البغضة، التي وصفها الرسول يوحنا بأنها ظلمة (١يو ١: ٦ ـ ٢: ٩).

٤ـ الأنانية المفرطة، لأن الموت الروحي يجعل الإنسان دائم البحث عن خلود، يظن أنه تحت سيطرة إرادته وفي متناول يده.

٥ـ رفض المحبة وشريعة بذل الصليب، لأن البذل هو من علامات تذوق الحياة الآتية، حياة الدهر الآتي، والمحبة من الله، لأن الله يعطي بسخاء ولا يطلب ما هو مقابل لما يعطى، ولكن عندما نصل إلى ذلك بفرح وسلام فإن هذا أيضاً من علامات الشركة في الطبيعة الإلهية.

(رسالة الأب صفرونيوس إلى الأب زكريا الفقرات ١٣ ـ ١٤).

شرح القديس كيرلس السكندري لنص (رو ٥: ١٢ ـ ١٤):

"كانت قوة ناموس موسى هي في إعلان ضعف الخطاة، ولم يكن للناموس قوة تدفع الإنسان نحو الخطية، بل كان المنع نفسه هو الذي يحرّك الإنسان نحو طلب ما هو ممنوع...، وإذا كانت الخطية هي التي أدخلت الموت، فإنه بلا شك لدينا أن الموت وُلِدَ من الخطية ونال قوته من الخطية، والخطية نالت قوتها من الناموس. ولكن عندما رُفِعَت الخطية ضعف سلطان الموت بل مات مع أمها (الخطية)" (شرح رسالة رومية مجلد ٧٤: ٧٨٤).

ولعل نص القديس إيريناوس الموجز هو أعظم ما لدينا :

"جاء ناموس موسى وسلب مملكة الموت، معلناً بأن الموت ليس مَلِكاً بل لصاً، لأن الناموس أعلن أن الموت قاتل" (ضد الهرطقات ٣: ٧٠١٨).

وهكذا : الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم (رو ٥: ١٤)

هؤلاء ماتوا رغم أنهم لم يخطأوا ذات خطية آدم.

الموت مع المسيح وبالمسيح

لم يدرك الذين قبلوا التعليم الشائع في العصر الوسيط، أن ما يقال عن دفع الثمن وتقديم الترضية للآب وإرضاء العدل الإلهي.. الخ يضرب التعليم الرسولي، ويحاول قلعه من جذوره. وليس لدى هؤلاء حجة ولا دليل واحد من الكتاب المقدس ولا من آباء

الكنيسة. هكذا نقول في صلاة الصلح "الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته..".

وعبارات أخرى مماثلة في القداسات والتسبحة وصلوات السواعي، جاء يسوع رب المجد لكي يهدم الموت، لا لكي يقع هو ومعه الذين يؤمنون به تحت سلطان إله آخر، هو الآب، لأن تمايز الآب عن الابن بالعدل يجعل الآب إلهاً آخر غير الابن، الذي حسب رأي هؤلاء ليس شريكاً للآب في عدله..

نموت مع المسيح

لعل أول شهادة هي عبارة الرسول بولس:

"لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة، والحياة التي يحياها فيحياها لله" (رو ٦: ١٠).

لو قال الرسول "الموت الذي ماته كان موت الخطية.." لقلنا لمن يتمسك بتعليم العصر الوسيط: أنتم (أنت) على صواب ويجب علينا التوبة. لكن الموت للخطية يشرح سبب موت الرب يسوع، فقد مات بسبب الخطية. وهذه هي حجة الرسول بولس "مرة واحدة" داس فيها الرب الخطية والموت والشيطان. وهكذا أيضاً يشرح ذهبي الفم كلمات الرسول بولس:

"ماذا تعني (عبارة الرسول) أنه مات للخطية؟ إنها تعني أنه لم يكن خاضعاً للخطية، وإنما لكي يبيدها (الخطية) ويلاشي قوتها مات للخطية. ألا ترى كيف يحذر الرسول بولس الذين يكتب لهم، لأن المسيح لم يمت مرتين، ولذلك لا يوجد اغتسال ثاني (معمودية ثانية)، ولذلك علينا أن نبتعد عن الخطية وكل إغراءاتها". (عظة على رومية ١١ وراجع الترجمة الإنجليزية ص ٤١٠).

كانت الخطية هي سبب موت الرب على الصليب، ولكن ما أعظم الفرق بين أن تكون الخطية هي السبب وأن تكون هي القوة التي أماتت رب الحياة.

وحسب القديس بولس نفسه نجد شرح ما نقول:

"الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم من أجل تبريرنا" (رو ٤: ٥).

"لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين من أجل الفجار" (رو ٥: ٦).

"ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو ٥: ٨) وراجع نفس التعبير في (١كو ١٥: ٣).

فإذا كان الرسول بولس يؤكد "مرة واحدة" فالتأكيد هنا هو علىالإنتصارعلي الخطية وإباداتها، لأنها أبيدت مرة واحدة ورفعت كعائق من طريق الشركة بين الإنسان والله، "دان الخطية في الجسد" (رو ٨: ٣).

لعل هذا هو أوضح تعبير عن التعليم الرسولي، لأن المسيح لم يمت مثل كل الخطاة، بل مات لكي يحكم على الخطية. هذا هو معنى "دان"، ليس الابن، ابن الآب ومسرته، بل الخطية هي التي أُدينت، لأن الآب لا يمكن أن يغمض عينه وينسى قداسة الابن "فإن المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا".

"**البار** من أجل الأثمة لكي يقرّبنا إلى الله" (١بط ٣: ١٨).

"الذي لم **يفعل خطية** ولا وجد في فمه مكر" (١بط ٢: ٢٢).

شرح القديس يوحنا ذهبي الفم لكلمات الرسول بولس في (رو ٨: ٣) كما ورد في العظة ١٣ على رسالة رومية:

"لنفترض أن الناموس أو الشريعة التي تحكم على الخطية حكمت على المسيح، فكيف جاء المسيح لكي يساعد الشريعة في حكمها على الخطية، ويتمّم كل مطالبها، ويعطي للشريعة معونة لكي تحكم على الخطية في الجسد؟ ألم يكن هذا عينه غائب لأن الرب حكم على الخطية من قبل... هل يوجد أعظم من هذا لأن (المسيح) لم يأخذ جسداً آخر لكي يتم به غلبة الخطية، بل أخذ ذات الجسد.. وهذا يشبه شخصا رأى في طريق عام إمرأة سوقية خاطئة تُضرَب ولكي (يعطي لها حماية) قال إنه إبنها، ولأنه كان يعمل عند الملك، أطلق حريتها وحماها من الذين أساءوا إليها... لقد خرّب الخطية بموته، وهذا العمل ذاته لم يكن الاعتداء على الجسد، ولم يحكم على الجسد لكي يبيد الجسد، وإنما الخطية هي التي أبيدت (خُربت)... هذه هي الأعجوبة الفائقة، لقد ـ بواسطة الجسد ـ رُفع (المسيح) عظّم الانتصار، وأن الذي أُبيد هو خطايا لا يمكن حصرها.. لقد هُزمت الخطية بالجسد... ولذلك لم يقل (الرسول) أنه أخذ جسداً خاطئاً بل "في شبه جسد الخطية".[1]

موت المسيح على الصليب كما شرحه القديس أثناسيوس في تجسد الكلمة:

تقول كنيسة القديس أثناسيوس في أوشية الإنجيل للمسيح "أنت هو حياتنا كلنا"، ويقول القديس أثناسيوس "ربنا ومخلصنا يسوع المسيح حياة الكل" (تجسد الكلمة ٢٤: ٣ ـ ص ٧٩)، فالحياة ليست فكرة مجردة، بل الحياة هو الكلمة الذي هو "فوق الكل"، والذي هو

---

[1] راجع الترجمه الإنجليزية ص ٤٣٢؛ وأيضاً القديس كيرلس عمود الدين شرح رسالة رومية ـ مجموعة الآباء اليونانيين ٧٤: ٨٢٠ ـ القديس أوغسطينوس شرح رسالة رومية ٤٨؛ مجلد ١٤: ١٥٦.

خالق كل الأشياء، هكذا يفهم أثناسيوس أن عمل الكلمة هو رد الحياة للإنسان وهو يؤكد هذا:

[لم يكن ممكناً أن يحول الفاسد إلى عدم فساد إلاَّ المخلِّص نفسه، الذي خلق من البداية كل شيء من العدم، ولم يكن ممكناً أن يُعيد للبشر صورة الله ومثاله إلاَّ صورة الآب، ولم يكن ممكناً أن يُلبِس المائت عدم الموت، إلاَّ ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة] (تجسد الكلمة ٢٠: ١ ص ٦٨).

وهكذا إن شئنا المقارنة مع فكر العصر الوسيط نجد أن أثناسيوس يضع صفات الفادي:

١ـ الخالق الذي خلق كل شيء.

٢ـ الحياة الذي يستطيع أن يُلبس المائت عدم الموت، بينما يتمسك العصر الوسيط منذ زمن أنسلم بشروط أخرى مثل تلك التي ذاعت عندنا هي:

١ـ خطية الإنسان غير المحدودة.

٢ـ عقوبة الإنسان غير المحدودة.

٣ـ ضرورة تقديم فدية غير محدودة.

وأخيراً: لابد أن يكون الفادي غير محدود.

وخطورة هذا التعليم هي أن الفادي، والفدية، والخطية، والعقوبة تشترك كلها في صفة "عدم المحدود"، وبالتالي فهي تتساوى معاً، وهو ما يجعل الفداء عملية تجارية لا تُعلن نعمة الله، بينما رأينا في الصفحات السابقة أن الخالق الكلمة رد الحياة للإنسان وأعطاه نعمة الحياة. وإذا قال أثناسيوس إن الفداء هو رد الفاسد إلى عدم الفساد، ورد المائت إلى عدم الموت، فهو يقارن مثل الرسول بولس بين آدم والمسيح. وعندما يشرح تفصيل الفداء، يؤكد عدم فساد جسد الكلمة، فيقول:

"وإن كان قد مات لفداء الجميع، لكنه لم يرَ فساداً؛ لأن جسده قام ثانيةً سليماً جداً، إذ لم يكن سوى جسد ذاك الذي هو الحياة ذاتها" (٢١: ٧ ص ٧٣).

وهكذا أخذ الكلمةُ الموتَ، أي موت البشر، وليس موته هو؛ لأنه لا يموت، وقابل الموت بحياته، فهو "الحياة ذاتها"، وبالتالي عندما تقابلت حياة الكلمة بالموت "أنتظر الموت ليبيده" (٢٢: ٢ ص ٧٤)، فهو "الكلمة الحياة" (٢٢: ١ ص ٧٤)، هو الذي مات أو "ذاق الموت بالجسد"، حسب تعبير صلاة الساعة التاسعة. ولنفس السبب يقول أثناسيوس:

[إن المخلص لم يأتِ لكي يتمم موته هو، بل موت البشر، لذلك لم يضع جسده بموتٍ أتى به من نفسه؛ لأنه هو الحياة، ولم يكن قابلاً للموت قبل الموت الذي أتاه من البشر، لكي يبيده نهائياً عندما يلتقي به في جسده] (٢٢: ٣ ص ٧٤ ـ ٧٥).

"والحياة في ذاتها"، ليست فقط اللاهوت دون الناسوت، بل الحياة الواحدة للكلمة المتجسد، وهو ما يؤكده أثناسيوس بقوله:

[لم يُصِب الموتُ الجسدَ بأي ضعفٍ طبيعي بسبب الكلمة الذي حل فيه، بل أُبيد الموت في الجسد بقوة المخلص] (٢٦: ٦ ص ٨٥).

واتحاد اللاهوت بالناسوت يجعل أثناسيوس قادراً على أن يقول عن جسد الكلمة القابل للموت :

[إنه مات فعلاً، ولكن كان مستحيلاً أن يبقى مائتاً إذ صار هيكلاً للحياة، لهذا، فإذ قد مات كجسد مائت، عاد إلى الحياة بفضل الحياة التي فيه] (٣١: ٤ ص ٩٨).

وعودة الجسد، أو الناسوت للحياة بفضل حياة الكلمة، أو الحياة ذاتها، هو أوضح جانب للتعليم الشرقي الأرثوذكسي عن الخلاص، فقد مات الناسوت القابل للموت، وبموت الناسوت، فَقَدَ الموتُ سلطانه؛ لأن الموت كان الحكم الإلهي الذي تم في جسد الرب، ولكن هنا رفع **المسيحُ الحكمَ**، وهذه هي الأفعال التي تتناسب مع التعليم الشرقي.

* سلطانه قد أُكمل، أو تم (٨: ٤ ص ٣٨)
* رفع حكم الموت فوراً (٩: ١ ص ٣٩)
* أبطل الموت بتقديم جسده (١٠: ١ ص ٤١)
* وضع حداً لحكم الموت الذي كان قائماً ضدنا (١٠: ٥ ص ٤٣)
* أباد الموت في جسده نهائياً (١٣: ٩ ص ٢٥١)
* القضاء على الموت والفساد كليةً، بفضل اتحاد الكلمة بالجسد (٢١: ٥ ص ٧٠)
* الحكم قد بطُل (٢٢: ١: ٧١)
* انتظر الموت ليبيده (٢٢: ٢ ص ٧٤)
* شوكته في المستقبل قد أُبطلت (يوم الدينونة)، (٢٣: ٤ ص ٧٧)
* يباد الموت بقوة المخلص (٢٦: ٦ ص ٨٥)

* كذلك الموت قد قهره المخلص، وشهَّر به على الصليب وأوثق يديه ورجليه (٢٧: ٤ ص ٨٧)

* أحرز الانتصار والغلبة على الموت، وجعله يفقد كل قوته (٢٩: ١ ص ٩٠). (راجع أيضاً صلاة قسمة القديس كيرلس السكندري): "يا مسيح الله الذي بموتك قتلت الموت الذي قتل الجميع".

هذه الأفعال تؤكد سيادة الكلمة وقوته وقدرة الحياة ذاتها، أي حياة الكلمة على أن يحول الفساد إلى عدم فساد، والموت إلى حياة.

تناقض شرح العصر الوسيط مع التعليم الرسولي

يظهر هذا التناقض الصارخ في، رو ٦: ١ وما بعده، وهو أطول نص في العهد الجديد قاطبة عن المعمودية.

"اعتمدنا لموته" (٦: ٣).

لو كان موت الرب يسوع إرضاءً للعدل الإلهي أو دفع ثمن الخطايا كما هو شائع، لو كان هذا هو التعليم المسيحي لتعذر على الرسول بولس أن يقول أننا إعتمدنا لموته لأن إرضاء العدل تم، والثمن دفع، فكيف نجوز نحن موتاً يشبه موت المسيح (صرنا متحدين معه بشبه موته) (رو ٦: ٥).

" فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في الحياة الجديدة جداً" (٦: ٤).

" قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته" (٦: ٥).

" عالمين هذا أن إنساننا العتيق (القديم) قد صلب معه ليبطل جسد الخطية... " (رو ٦: ٦).

لقد شرح الآباء، كيرلس الأورشليمي - يوحنا ذهبي الفم نص رومية ٦: ١ وما بعده في العظات التي قدّمت للموعظين.

نص القديس كيرلس الأورشليمي :

[عندما تخلعون ثيابكم فإن هذا مثال لخلع الإنسان القديم مع كل شهواته (أعماله) (كو ٣: ٩). وها أنتم قد صرتم عرايا وهذا تشبه بالمسيح الذي عُري على الصليب، وبعريه Nakedness خلع من ذاته الرؤساء والسلاطين (القوات)، وجهراً انتصر عليهم على

الصليب (راجع كو ٢: ١٥)... وبعد ذلك تقادون إلى المغطس المقدس للمعمودية الإلهية...] (العظة ٢٠: ١ _ ٤).

بعد أن يشرح الغطسات الثلاث يقول:

[في نفس الوقت الذي تموتون فيه تولدون لأن مياه الخلاص هي قبركم وأمكم].

أين دفع الثمن؟ وهل الثمن هو موتنا وولادتنا؟

[وما قيل في مناسبة معينة يخصكم أنتم أيضاً لأنه قال. يوجد وقت للحبل ووقت للموت (جا٣: ٢). أما بالنسبة لكم فإن الترتيب مختلف لأنه يوجد وقت للموت، ووقت للولادة، لأنكم تموتون وتولدون في آن واحد وهو ما يحدث لكم في نفس الوقت، لأن ميلادكم يتم في نفس وقت موتكم] (العظة ٢٠: ٤).

كيف غابت تماماً، من كل ما كُتب عن عقيدة الفداء والكفارة، الولادة الجديدة من فوق؟ أليس لأن ما كتبه نيافة الأنبا بيشوي هو ذات تعليم الغربي الشائع. كيف نموت ونولد في آن واحد ؟. أليس هذا هو تجديد الإنسان في سر المعمودية؟ أليس لأن "المعمودية هي الصليب" حسب عبارة ذهبي الفم ؟. لكن فكر العصر الوسيط الذي حصر الخلاص في موت الرب يسوع على الصليب، ثم توقف عند هذا الحدث الجليل، لم يربط حتى ذهنياً بين الصليب والمعمودية. ومن هنا بالذات جاءت فكرة الولادة الثانية في النهضة البروتستانتية في القرن الثامن عشر، بأن هذه الولادة الثانية تتم بمجرد قبول المسيح رباً ومخلصاً... وبذلك تم فصل، المعمودية، عن التوبة بعد المعمودية، وتجديد الحياة الدائم الذي يعود إلى المعمودية في المقام الأول.

هكذا تسير هذه التعاليم نحو تدمير كامل لتراثنا الروحي والعقائدي، بل والنسكي أيضاً. فإن "لباس الصليب" ليسوا لباس اللعنة والغضب الإلهي واحتمال العقوبة... بل هم "لباس الحياة الجديدة"، التي تعلن في صلوات تكريس الرهبان والراهبات.

كيف نقرأ الفقرة الخامسة من العظة؟

ما هو الموت الذي نموته مع المسيح وبالمسيح، حسب تعبير القديس كيرلس الأورشليمي؟

يجيب القديس كيرلس في عدة مواضع على السؤال. ولكن حسب تعليم الآباء يجب أن نتوقع إجابة مختلفة عن لاهوت العصر الوسيط، الذي يُروّج له الآن. "لا يجب أن يتوقع أحد أن المعمودية هي مغفرة للخطايا فقط أو أنها للتبني،، أنتم تعلمون جيداً (لكم معرفة تامة) أن المعمودية وإن كانت للتطهير من الخطايا، إلاّ أننا في المعمودية ننال نعمة

الروح القدس، وهي لذلك مثال αντιτυπον يتطابق مع آلام المسيح[1]، لهذا السبب قال بولس "ألستم تعلمون أنكم أنتم الذين اعتمدتم للمسيح، قد اعتمدتم لموته؟ لذلك قد دُفنا معه في المعمودية. قال الرسول هذه الكلمات لكل من ظن أن المعمودية تعطي غفران الخطايا والتبني ولا تعطي شركة κοινωνιαν ولا التشبه ενμιμησει في آلام المسيح". (العظات عن الأسرار ٢: ٦).

"نحن نتشبه بموت المسيح كما لو كنا أيقونة εν εικονι بينما خلاصنا هو حقيقي εν αληθεια ، لأن المسيح صلب حقاً ومات فعلاً وحقاً قام (من الأموات)، وكل هذا قد سُلِّم إلينا لكي عندما نتشبه به نشترك κοινωνησντες في آلامه فننال الخلاص حقاً" (العظات على الأسرار ٢: ٥).

المعمودية فدّية الأسرى

هكذا قدم القديس كيرلس الأورشليمي أسماء المعمودية:

"فدية الأسرى" αιχμαλωτοις λυτρον

"محو الذنوب. موت الخطية" θανατος αμαρτιας

"ولادة جديدة للنفس، ثوب النور، خاتم مقدس لا ينحل [1] ، مركبه تحملنا إلى السماء، فرح الفردوس، عربون الملكوت عطية التبني"[*].

لعلك أيها القارئ قد وجدت إجابة السؤال. لقد صُلِب الرب لكى نُصلب معه، ونموت معه. هذا هو التعليم الرسولى أما أن يكون الرب قد نال عقاب الخطية من الآب، فهذا يتعارض تماما مع ما ذكره القديس كيرلس الأورشليمى، وما سوف يذكره القديس يوحنا ذهبى الفم.

شرح القديس يوحنا ذهبى الفم[٢]

يؤكد القديس يوحنا ذهبى الفم أن المعمودية هى:

"دفن و قيامة فى آن واحد" (ص ١٥٢)

---

[1] لس لديا كلمة عربية جيلة لتنقل إلينا المعنى والحس الروحي للكلمة اليونانية αντιτυπον ولذلك حتى في اللغة الإنجليزية نقلت الكلمة كما هي من اليونانة Antitype وأقرب كلمة إنجليزية هي Counterpart مثل يطابق الأصل

(١) راجع نفس التعبير في خدمة المعمودية في كنيستنا القبطية.

[*] راجع النص اليونانى لجامعة أوكسفورد وأعيد نشره بواسطة SPCK عظة ١٦ ص ٥٠.

(٢) أعتمدنا على العظات التى نشرت فى سلسلة الكتابات المسيحية القديمة مجلد ٣١ وترجمة الأب Paul W. Harkins مع مراجعة دراستها Thomas Finn التى نشرت فى سلسلة دراسة الآثار المسيحية مجلد ١٥ والتى يشرف عليها العالم الكاثوليكى J. Quasten.

"لقد دفن الإنسان القديم مع خطاياه وقام الإنسان الجديد الذى يتجدّد حسب صورة خالقة (ص ٢١٣).

كيف يحدث ذلك؟ يجيب ذهبى الفم بذات كلمات الرسول بولس فى رومية ٦: ٢٣:

"إسمعوا ما يقوله القديس بولس، وكيف يصف المعمودية كموت الخطية وكصليب عندما يقول: "ألستم تعلمون أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قد اعتمدتم لموته"، وأيضاً أن إنساني القديم قد صلب معه لكى يبيد (أو يهلك) جسد الخطية. فلا تخافوا من هذه الكلمات التى سمعتموها أي، الموت والصليب، لأن القديس بولس أضاف الصليب هو موت الخطية.

Επηγαγεν οτι αμαρτιας

[1]θανατος εστιν ο σταυρος

موت الخطية، يختلف تماماً عن، موت المسيح تحت وطأة العذاب وبسبب الخطية. **لقد أمات الرب الخطية ولم تقتل الخطية الرب.**

المعمودية هى الصليب

وكلمات هذا العنوان الجانبى هى كلمات يوحنا ذهبى الفم نفسه، "هل ترون كيف أن المعمودية هى الصليب ؟. تعلّموا من الرب نفسه الذى دعى المعمودية صليباً عندما استخدم الأسمين معاً. فهو يقول أن معموديته صليباً، وأنا أقول أنها الصليب، وأين يقول ذلك ؟ يقول الرب، لي معمودية سوف أعتمد بها وأنتم لا تعرفونها. أليس هذا الكلام واضحاً أنه يتكلّم عن الصليب ؟. وعندما جاء إليه أولاد زبدي، وبالحري أمهم وتطلب أن يأمر بأن يجلس واحد عن يمينه والآخر عن يساره فى ملكوته (مت ٢٠: ٢٠)...، أجاب الرب، هل تقدران أن تشربا الكأس التى سوف أشربها، وأن تعتمدا بالمعمودية التى سوف أعتمد بها. ألا ترون هنا أن الرب دعى الصليب معمودية ؟ كيف نفهم هذا ؟... أنه لم يخطأ، و لذلك لم يحتج إلى إغتسال، لأنه لم يوجد فى فمه غش (١بط ٢: ٢٢)، ولكن ،دعي الصليب معمودية، لأن الدم الذى سال من جراحه على الصليب غسل العالم كله، وجعله نقياً"[1].

---

(١) (راجع الأصل اليونانى فى سلسلة الينابيع المسيحية التى تصدر بالفرنسية sc مجلد٥٠ باريس ١٩٥٧ والترجمة الانجليزية ص ١٥١).

(١) (الأصل اليونانى ص ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ الترجمة الإنجليزية ص ١٥١).

تعارض تعليم نيافة الأنبا بيشوى مع تعليم وتسليم الآباء

لقد قدّمنا هذه النصوص التى تؤكد أن الرب قَتَل الخطية على الصليب، ولم يمت موت الخطاة، كما أنه لم يمت بسبب قوة الخطية، ولا قدرتها قادرة أن تميت الرب نفسه.

والفرق كبير جداً ويمكن حصره فى النقاط التالية :

اولاً: قدرة الرب على أن يحوّل، موت الخطية، الذى فينا إلى تجديد وولادة ثانية، وبذلك لا ينفصل الصليب عن سر المعمودية.

ثانياً: ما أعظم الفرق بين صلاة القسمة للقديس كيرلس السكندرى

"يا حمل الله... يا وحيد الله، الذى بدمك طهّرت أدناس المسكونة، بمراحمك طهّر أدناس نفوسنا".

أليست هذه هى ذات كلمات ذهبى الفم ؟، لأن الدم الذى سال من جراحه على الصليب غسل العالم كله وجعله نقياً.

ألا يذكر المصلى، كاهناً كان أم أسقفاً، هذه الكلمات وهو يوشك أن يتناول دم الرب نفسه، لأن دم المسيح واحد سفك لأجلنا، وهو لذلك لم ينتحر، بل كما تقول الكنيسة "المسيح مخلّصنا جاء وتألم عنا لكى بآلامه يخلّصنا". وما ذكره الآباء هو ما ترده كلمات القسمة بعد ذلك "يا مسيح الله الذى بموتك قتلت الموت الذى قتل الجميع، بقوتك أَقِمْ موت نفوسنا".

لقد جاء الرب لكى يقتل الخطية، لا لكى تقتل الخطية الرب، وذلك يدفع الصلاة كلها والأسرار نحو إتجاه واحد لا ثان له، فهو أننا إن كنا نؤمن بأن الرب قتل الخطية، فإن صلواتنا تصبح انتصاراً، ويصبح الصليب المحيي هو قوة، وخلاص، وشفاء، وتصبح الأسرار لا سيما المعمودية، والميرون، والافخارستيا أسرار الإنضمام إلى الكنيسة، هى مناسبات تجلي النعمة، لا مناسبات فصل الثالوث عن التجسد، وعن الصليب، والأسرار!!

ثالثاً: إذا كانت الخطية هى التى قتلت الرب، وكان الموت هو الذى ذبح الرب، .. فمتى حدث انتصار الرب على الموت ؟، وكيف استطاع إقامة الموتى قبل صلبه ؟ إن هذا الإدعاء هو بمثابة تجديف يجب أن يحاسب عليه قائله.



ملحق: ١

موقع نيافة الأنبا بيشوي على شبكة الإنترنت

يَسأل: هل يوجد مجمع أرثوذكسي، تم إنعقاده، لإثبات أن الله خالق العالم؟

الجواب: حسب كلمات الأنبا بيشوي نفسه التي أجاب بها على السؤال، "توجد أساسيات إيمانية لم تستدع أي نقاش أو قرارات في مجامع، بل وردت كتعليم في آيات العهد الجديد".

تعقيب وتحليل:

١ـ لم أندهش بالمرة من هذه الإجابة الأنجليكانية، التي تؤكد حسب كلمات نيافته أن "أساسيات إيمانية" وردت كتعليم في آيات العهد الجديد، لأن العهد الجديد **وحده** ليس مصدراً للتعليم، مهما كان موضوع التعليم، بل **التسليم الرسولي**؛ وهو الكتاب المقدس + الآباء + حياة الكنيسة المدونة في صلواتها، أي الليتورجية، لأن الصلوات الكنسية هي "المجمع" الأرثوذكسي لكل ما هو أرثوذكسي، حسب عبارة القديس إيريناوس "نحن نصلي ما نمارسه ونمارس ما نصليه".

٢ـ ويبدو أن نيافته لم يسمع باسم مدارس الغنوصية، التي أنكرت خلق العالم من العدم، ونادت بأن الكون المادي هو من صُنع إله الشر، ولذلك جاءت ليتورجيةالمعمودية في القرون الثلاثة الأولى ـ السابقة على مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥، وفي كل الكنائس ـ بالاعتراف (في قوانين الإيمان السابقة على قانون الإيمان النيقاوي) بالآب ضابط الكل خالق السموات والأرض، بل جاء قانون إيمان كنيسة الإسكندرية السابق على قانون إيمان المجمع المسكوني الأول ٣٢٥ لكي يؤكد "أؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل، وبرب واحد يسوع المسيح" حسبما ورد في كتاب خدمة سر المعمودية وفي البرديات القديمة. ونرجو من القارئ مراجعة القسم الخاص بـ الاعتراف بالإيمان في دراستنا "المعمودية في الكنيسة الجامعة في القرون الخمسة الأولى"، ودراسة الأستاذ J.N.D. Kelly: Early Christian Creeds 325, الطبعة الأولى ١٩٥٠ وبعدها علة طبعات.

لعل القارئ الذي يملك نسخة من كتاب القديس أثناسيوس الرسولي "الرسالة إلى الوثنيين"، وأيضاً كتاب "تجسد الكلمة" يجد أن خلق العالم من العدم هو بداية التعليم

الأرثوذكسي. وقد حكم على مدارس الغنوصية في مجامع مسكونية ومكانية. والادعاء بأن "أساسيات إيمانية" تؤخذ من آيات العهد الجديد هو في حقيقة الأمر دعوة مقنعة لتبني مناهج غير أرثوذكسية تسمح بأن يكون رأي قارئ العهد الجديد هو التعليم.

٣ـ أما العجيب حقاً فإن نيافته نسي أن بداية قانون الإيمان النيقاوي سنة ٣٢٢ (وهو قرار مجمع نيقية المسكوني)، يؤكد حسب كلمات قانون الإيمان كما نرددها في الكنيسة القبطية "بالحقيقة نؤمن بإله واحد، الله الآب ضابط الكل، خالق السموات والأرض..." نعم هذا هو التعليم الذي يؤكد خلق الله للعالم الذي قرره المجمع المسكوني الأول.

الغضب الإلهي

لا نعلم ما هو السبب الذي جعل الأنبا بيشوي ينسى أن نفس كلمات قانون الإيمان، لا تعلن لنا أن الابن ربنا يسوع المسيح قد جاء لكي يخلصنا من غضب الآب، بل تقول بتقوى أرثوذكسية:

"هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس... وصلب عنا... وقام... الخ".

أين خلاص البشر من غضب الآب؟

وكما نسى أيضاً نيافته تعاليم مدارس الغنوصية، وأيضاً تاريخ العقيدة المسيحية، في حين أن كل الطوائف البروتستانتية تعود إلى مؤلفات المؤسسين، مثل لوثر وكالفن لكي تقدم تفسير وشرح هؤلاء على أنه الشرح الصحيح، الأمر الذي لا نجده في التعليم الذي يقدمه نيافته وعدم استعداده للعودة إلى شروحات الآباء.

وهنا نحيل القارئ ومعه من يريد أن يعرف أيضاً، على كتاب الأستاذ السابق في جامعة أدنبرة Edinburgh

JOHN MCINTYRE, THE SHAPE OF SOTERIOLOGY.

ISBN 0567-096157

لكي يقرأ ما يقوله الإنجيليون أنفسهم، بأن فكرة أو تعليم دفع فدية للآب، أو إرضاء العدل، أو صرف غضب الآب، هو تعليم العصر الوسيط، الذي بدأ بكتاب "لماذا تجسد الله" لرئيس أساقفة كانتربري، أحد أعمدة الكنيسة الأنجليكانية (أنسلم).

وما هو ثابت تاريخياً ، وهذا ليس موضوعاً مذهبياً ، بل ما هو معروف من الوثائق التاريخية، وكتابات أساتذة ومعلمي اللاهوت في الغرب، أن اللاهوت الغربي، من أنسلم حتى لوثر، قد حدد عقيدة الفداء والكفارة في ثلاث نظريات كبرى تفرعت بعد ذلك إلى خمسة وهي:

الأولى: تقـديم الفديـة للشـيطان، وقـدمها العلامـة أورجينـوس وقـد رفضـها القـديس غريغوريوس النزينزي.

الثانية: البديل العقابي، وهي أكثر النظريـات شـيوعاً، وبـدأت جـذورها عنـد أنسـلم، ثـم تحولت إلى تعليم رسمي عند لوثر وكالفن. وتقول هذه النظرية أن الله الآب عاقب إبنه الوحيـد على الصليب نيابة عن البشر، وصب عليه نار غضبه عندما كان معلقاً علـى الصـليب. وهـو ذات التعليم الذي يدافع عنه الأنبا بيشوي، إلاّ أنه لا توجـد أدنـى إشـارة إلى هـذا الشـرح في كتابات آباء الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية.

الثالثة: الفدية التي دفعت للآب لإرضاء كرامته التي أهانها الإنسان بالخطية. وهـي النظريـة التي وضعها أنسلم، وتسللت إلى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في محاضرات الآب أوجـيني دي بليس، وأخذت الشكل القبطي الذي يدافع عنه بعض معلمي الكنيسة القبطيـة الأرثوذكسـية اليوم بإدعائهم، بأن شروط الفادي: أن يكون غير محدود ـ لأن الخطية غـير محـدودة ـ والعقوبـة غير محدودة ـ والفدية يجب أن تكون غير محدودة لإرضاء كرامة الله الآب... لذلك جاء المسيح.

وقد تجنب الأنبا بيشوي استخدام الوصف الشـنيع "خطيـة غـير محـدودة" لأن هـذا يجعـل للخطية طبيعة إلهية تساوي طبيعة ومكانة الفادي.

هذا الفكر مرفوض تماماً ليس فقط لأن مقام وكرامة الرب يسوع المسيح هي أعظـم بمـا لا يقاس من كل خطايا الإنسان، بل لأن الخطية هـي إنعـدام الخـير وغيـاب الصـلاح، أو حسـب عبارة القديس أثناسيوس نفسه "أن كل ما هو شر فهو عدم، وكل ما هـو خـير فهـو موجـود" (تجسد الكلمة ٤: ٥) ـ (الرسالة إلى الوثنيين فصل ٩)، وبالتالي لا يمكن مقارنة "الله الواجب الوجـود" بمـا إخترعه عقل الشيطان والإنسان من فساد وتهور.

نصوص العهد الجديد عن الغضب الإلهي

جاء حشد هذه النصوص على طريقة كل الشيع: الكثرة ـ عـدم القـراءة الدقيقـة ــ تجـاوز مـا إستقر في التاريخ الكنسي. ورغم أن كتابات الآباء قد حُجبت ولا تدرّس، فإن القـارئ الفطـن سيجد أن الحق الواضح لا وجود له في مقالة الأنبا بيشوي.

١ـ كيف يجب أن نقرأ (رؤ ١٩: ١٣ ـ ١٥) الخاص بالرب يسوع **كلمة الله:**

"ومن فمه يخرج سيف ماضي لكي يضرب به الأمم...، وهو يـدوس معصـرة خمـر وسـخط غضب الله". **أولاً** هذا كلام عن عمـل المسـيح الفـادي في المسـتقبل الآتـي، لأن هـذا هـو موضوع سفر الرؤيا. **وثانياً** أن من يدوس المعصرة حسب التاريخ هو الـذي يعصـر العنـب

تحت قدميه ـ كما هو متبع حتى الآن في البلاد التي يُسمح فيها بعصر العنب ـ فهو يدوس لا يداس وهو يعصر دون أن يتحول هو إلى عصير، ونترك التعليق للقارئ.

٢ـ دُهشت لحشر كلمات الرسول بولس (رو ٥: ٩) لتأكيد غضب الله على الابن ربنا يسوع المسيح. يقول الرسول "فبالأولى ونحن متبررون بدمه نخلص به من الغضب"، هل ذكر الرسول بولس أننا نخلص من غضب الآب، بكل تأكيد يقول الرسول العكس تماماً، أي عكس ما يدافع عنه الأنبا بيشوي في السطر السابق، "لكن الله بين لنا **محبته** لأننا ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا فبالأولى كثيراً ونحن متبررون بدمه نخلص به (يسوع ربنا) من الغضب، لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صُولحنا مع الله بموت ابنه..." (رو ٥: ٧ ـ ١٠). وكيف نخلص به وهو قد وقع تحت الغضب؟، بل قد صُولحنا بموت ابنه، ويصبح الغضب هو غضب يوم الدينونة لا يوم الجلجثة.

٣ـ أما الغريب هو كلمات الرسول بولس في (١تس ١: ١٥) حيث يقول الرسول أننا ننتظر ابنه من السماء (مجيء الرب يسوع الثاني)... الذي ينقذنا من الغضب الآتي "أي غضب يوم الدينونة"، والسؤال هنا هل سيغضب الآب من جديد على ابنه في يوم الدينونة؟.

٤ـ أما المدهش فهو كلمات الرسول في (رو ١: ١٨) "لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم..." هل هذا هو الابن الذي صار هو أيضاً فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم. هل حجز المسيح الحق بالإثم وهو الذي قال "أنا الحق".

إن كلمات الوحي المقدس ضد ما يقوله الأنبا بيشوي، إذ أن كلمات سفر الرؤيا (٦: ١٦ ـ ١٧)، (رؤ ١٤: ١٠) تعلن "غضب الخروف" لتؤكد لنا أنه من ذات جوهر الآب، ويملك ذات الصفات الإلهية التي يملكها الآب بما فيها الغضب.

تجديف على الثالوث

أولاً: لم يأت الابن متجسداً لكي يخلِّص الآب من غضبه، بل لكي يخلِّص الإنسانية من الموت.

ثانياً: عندما يغيب تماماً أي نص عن غضب الآب الذي سكبه على ابنه، يصبح من الضروري أن نفهم كل ما يقال عن غضب الله أنه خاص بالثالوث، لأن استخدام اسم الله للآب وحده هو ما يفرح به شهود يهوه والأريوسيون.

ثالثاً: يؤدي تعليم الأنبا بيشوي إلى إنقسام الثالوث الواحد غير المنقسم، لأن تقديم فدية للآب بالمعنى الذي ذكره الأنبا بيشوي، يعني أن الآب احتاج لشيء لا يملكه، ويعني أن الابن لديه ما هو ليس لدى الآب، وهذا يهدم وحدة الجوهر.

رابعاً: يؤكد تعليم الأنبا بيشوي أن الله الذي يأمر بالغفران لم يعرف الغفران، بل طلب الثمن والفدية من ابنه، وبالتالي لم يعد الآب الصالح المحب، بل صار الآب أقل من الابن في الجودة والصلاح والمحبة. وهذا تجديف آخر.

خامساً: ذكر الرب يسوع في مثل العبد الشرير الذي طلب من الملك (مت ١٨: ٢٣) أن يسامحه بالدين.فيقول الرب يسوع بفمه الإلهي "فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين"(مت ١٨: ٢٧)، ولكن عندما ذهب العبد الشرير إلى عبد آخر كان مديوناً بمئة دينار (مت ١٨: ٢٨) ورفض العبد ترك الدين، قال له سيده : "أيها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت مني ذلك..."، ثم يضيف الرب نفسه، "هكذا يفعل بكم أبي السماوي إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته" (مت ١٨: ٣٥). وهكذا حسب تعليم الأنبا بيشوي، يصبح الإنسان أعظم من الله في الغفران...! تجديف آخر لا يحتاج إلى شرح.

سادساً: أين يحفظ الله الآب خطايا البشر، في أي مكان؟، في السماء النقية، أم على الأرض أم في قلبه وهو الذي يأمر بأن نترك كل شيء ونغفرمن القلب (مت ١٨: ٣٥). فإن كانت الخطايا محفوظة في قلب الله فكيف يطلب منا أن نتركها...؟ يجيب النبي ميخا على الأنبا بيشوي موضحاً موقف الله بهذه الكلمات : من هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه، لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يسر بالرأفة، يعود ويرحمنا يدوس آثامنا، وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم" (ميخا ٧: ١٨ ـ ١٩).ولهذا نسأل هل في الكتاب المقدس آية تقول أن الله يُسر بالغضب؟ وأين هي كلمات الأنبياء، وسفر المزامير التي تصف الله بأنه "بطيء الغضب".

لماذا لم تُذكر هذه الآيات في مقال نيافته؟.

سابعاً: حَصَرَتعليم الأنبا بيشوي ـ وهو ذات تعليم العصر الوسيط الذي يعود إلى مؤسسه أنسلم أحد أقطاب الكنيسة الأنجليكانية ـ حَصَرَ هذا التعليم عن الفداء في علاقة الآب بالابن وأهمل دور الروح القدس تماماً، وهو الخطأ اللاهوتي الذي وقع فيه أساتذة العصر الوسيط عن غير معرفة، لأن تحديد معنى "الفدية" كثمن دُفع للآب وليس كعمل واحد للثالوث لم يدفع فيه الله الآب شيئاً، ولم يدفع فيه الاله المتجسد شيئاً. وقد أبعد هذا التفسير الروح القدس تماماً، مع أن الروح القدس هو الذي كوّن جسد الابن المتجسد، وهو الذي مسحه بعد خروجه من مياه المعمودية في الأردن، وهو ـ أي الروح القدس ـ الذي قدم به الابن دمه قرباناً "بالروح الأزلي"، أي الروح القدس (عب ٩: ١٣). ولهذا السبب عينه، كلما ذُكرت الطهارة، والتطهير، والتقديس، فهي أفعال العمل الواحد للثالوث الذي يعطى فيه الآب بالابن الخلاص والطهارة بالروح القدس. وهكذا صار ـ حسب تعليم الأنبا بيشوي وتعليم العصر الوسيط ـ لدينا إله غاضب، وإله يخلِّص هذا الإله الغاضب، ويدفع الثمن. وأصبح الخلاص لا علاقة له بالثالوث. ولكن دم المسيح الذي يطهر، هو حياة المسيح التي تُعطى

بالروح القدس حسب التسليم الرسولي في الليتورجية، لأننا نقبل جسد ودم الرب بالروح القدس، وقبل ذلك نؤهل لهذا القبول في سري المعمودية والميرون.

ثامناً: عندما حصر الأنبا بيشوي الفداء في إرضاء العدل الإلهي ودفع الفدية... الخ، فقد فصل تماماً بين موت الرب وقيامته، والأسرار الكنسية، وهو أيضاً ذات الفصل الذي سبق وأشرنا إليه بين الآب والابن والروح القدس، هذا التعليم بالتحديد سوف يفتح باب إنكار فاعلية الأسرار، بل يجعل أعياد الظهور الإلهي، أي الأعياد السيدية، هي مناسبات لذكرى عقلية إنسانية، وليست مناسبات إستعلان نعمة وعمل الثالوث في الله الواحد.

لماذا المعمودية؟ ولماذا سر المسحة؟ ولماذا سر الشكر؟ إذا كان كل شيء قد تم ودفع وأكمل يوم الجمعة الكبيرة؟ وعندما يكون الرد بأن هذه الأسرار تذكارات، فهو رد غير أرثوذكسي صريح، لأن الأسرار ليست تذكارات، بل إعلانات إلهية عن خلاص الإنسان.

تاسعاً: إذا كان الابن قد دفع ثمن الخطايا، وأرضى غضب الآب، وقدم له الفدية، أصبح على صاحب هذا التعليم أن يذكر لنا لماذا نعترف، ولماذا نحتاج إلى صلاة التحليل طالما أن كل شيء قد إنتهى يوم الجمعة؟. وتصبح التوبة عملاً فردياً بين الإنسان والله، و الغفران "محسوب على دم المسيح" حسب التعبير الشائع عند الإنجيليين، مع فارق هام وهو أن الإنجيليون يقولون - وهم على صواب - أن الغفران مجاني، بينما يقول الأنبا بيشوي أنه غفران مدفوع الثمن، وهو قول ينكر تماماً أي تعليم عن النعمة الإلهية، وينزع عن الإنجيل أهم ركن في بشارة الحياة، أي الخبر المُفرح بأن المسيح جاء كنور يشرق في الظلمة، وحياة تغلب الموت، وليس كفدية دفعت للآب.

الله يرحم الكنيسة من كل تعليم لا أساس له في الكتاب المقدس والتسليم الرسولي ولم يختبر المحبة الإلهية.

عاشراً: يذكر نيافة الأنبا بيشوي على موقعه في شبكة الإنترنت، أن الآب السماوي أبو ربنا يسوع المسيح هو الذي قاد الجلاد الروماني لجلد المسيح، وأن هذه "الجلدات الحارقة" كانت برضى ومسرة الآب، وأن الآب هو وراء هذا التعذيب. هذا لا يحتاج إلى رد، **أولاً** لأن هذا الفكر لم يَرد في الأسفار المقدسة، ولا في شرح الآباء القديسين. **ثانياً** لقد أعطى نيافة الأسقف لنفسه الحق في إضافة ما لا وجود له في التعليم العقيدي لكي يؤكد وجهة نظره، وهو أمر خطير جداً، لأن الافتقار إلى مرجعية التسليم الرسولي، وعدم إستمرارية التسليم، ينزع عن الأرثوذكسية نفسها أهم صفاتها، وهي ثبات التعليم العقيدي وعدم تغييره.

حادي عشر: لا نجد أمامنا سوى أن نقول، لآخر مرة، أن تقديس العنف والانتقام واعتبار أن الغضب، مهما كان مصدره، يؤسس خلاص الإنسانية، هو تعليم غريب تماماً عن المسيحية. لأن الغضب الإلهي هو عمل فعل يسير مع المحبة لكي يلاشي الخطية ويبيد الموت، حسب عبارة

التقوى للقديس كيرلس السكندري "يا مسيح الله الذي بموتك قتلت الموت، بمراحمك طهر أدناس نفوسنا" (صلاة القسمة)، وهي ذات عبارة القديس أثناسيوس "المسيح قد أمات الموت" (تجسد الكلمة ٣: ٢ ص ٨٤)، وأيضاً "هكذا الموت أيضاً، قد هَزمهُ المخلِّص وشهّر به على الصليب وربط يديه ورجليه، فإن جميع الذين هم في المسيح، إذ يعبرون عليه، فإنهم يدوسونه، وفي شهادتهم للمسيح يهزأون به ويسخرون منه... أين غلبتك يا موت" (تجسد الكلمة ٢٧: ٤ ص ٢٧٨)، وما أعظم الفرق بين الذي يتبع مخلِّص هُزم، وذُبح، وعُذب بواسطة الآب، والمخلِّص الذي فتح لنا أحضان الآب السماوي، وأعطانا ذات المحبة والمجد الذي له من الآب، حسب كلمات الرب نفسه (يوحنا ١٧: ٢٢، ١٧: ٢٦).

ملحق: ٢

"أما الرب فسُرّ بأن يسحقه بالحَزَن" (أش٥٣: ١٠)

لم أجد في الكتاب المقدس بعهديه عبارة أو آية واحدة تؤكد ما يذكره نيافة الأنبا بيشوي...، ولذلك يجئ فعل "سحق" و "إنسحاق" لا لكي يؤكد سادية الآب السماوي، الذي يجد لذة في الجلد والسحق، بل يقول سفر أيوب العكس "يسحق ويداه تشفيان" (٥: ١٨). وإذا كان المسيح الرب المنتصر القائم من الأموات سوف "يسحق الشيطان تحت أقدامنا" (راجع رو ١٦: ٢٠)، فإنه من الصعب علينا بل من المستحيل أن نتصور أن الآب سحق ابنه على الصليب بنفس الروح، وبذات الهدف الذي يعطي لنا ذات الانتصار، لأنه جاء لكي "يسحق رأس الحية" (تكوين ٣: ١٥)، ولا يمكن أن يتساوى العمل الإلهي، في الانتصار على الشر، بالسادية والانتقام. وإذا قيل بالروح القدس، أن الحية سوف تسحق "عقبه" (تكوين ٣: ١٥)، فإنها لن تكون شريكاً لله الآب في تعذيب الابن وسحقه، لأن الآب لا يمكن أن يشترك مع الشيطان في عمل واحد ولذات الهدف، لأنه مكتوب في الوحي المقدس "أي شركة للنور مع الظلمة، وأي إتفاق للمسيح مع بليعال" (٢كور ٦: ١٤). وإذا عدنا إلى كلمات النبي وجدنا:

١ـ سُرَّ بأن يسحقه بالحزن .

٢ـ جعل نفسه ذبيحة إثم.

فلم يُسحق بالغضب حسبما تصور نيافته، بل سُحق بالحَزن، والفرق عظيم بين من يسحق بالحزن وهو ما عبر عنه الرب نفسه في البستان "نفسي حزينة جداً حتى الموت" (متى ٢٦: ٣٨)، وهو ما نجد صداه في مزمور (١٤٣: ٣)، لكي يعود الانسحاق، ليس ببقاء الحزن، بل يعود بمسرة الرب، ولذلك يقول الرسول بولس "ناظرين رئيس الإيمان وحكمة يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله" (عب ١٢: ٢)، وهو ما يجعلنا نرفض كل أشكال القهر والسادية والتشفي، لأن الخزي والعار والجلد ودق المسامير والموت كلها تمت بيد البشر، وقبِلها الرب يسوع ـ كما يقول معلمنا أثناسيوس ـ من أيدي الذين عذبوه، وهي عبارات ذات دلالة، كأن القديس أثناسيوس رأى بعيني النبوة ما سوف يؤول إليه التعليم في زماننا فكتب:

« لم يكن لائق بكلمة الله، وهو الحياة، أن يُوقع الموت بنفسه على جسـده.. بـل بـالحري أن يتعقبه (الموت) حتى يقضي عليه.. انتظَرَ الموت أن يأتيه لكي يبيده» (تجسد الكلمة ٢٢: ١ ـ ٢).

وأيضاً:

« قبِل في الجسد ذلك الموت الذي أتاه من البشر، لكي يبيد ذلك الموت تماماً عندما يلتقـي به في جسده..» (٢٢: ٣).

كان الفساد في الجسد «بل ملتصقاً به » (تجسد الكلمة ٤٥: ٤)، لذلك « مـادام المـوت قـد صـار داخل الجسد، وبوجوده في كيانه (الجسد) صار سائداً عليه، لـذلك كـان مـن الـلازم أن تصـير الحياة داخل نسيج الجسد أيضاً، حتى إذا لبس الجسد الحياة بدل الموت فإنه يطرح عنه الفساد » (تجسد الكلمة ٤٥: ٤).

الله لا يُسر بالشر ولا بالذبائح

عندما يقول المزمور "لست إلهاً يُسر بالشر" (٥: ٤)، فإن عدم مسرة الله بذبائح العهد القديم، وردت بنص صريح لا يحتاج إلى تأويل "إذ يقول آنفـاً إنـك ذبيحـة وقرباناً ومحرقـات وذبـائح خطية لم ترد **ولا سررت بها**. التي تقدم حسب الناموس" (عب ١٠:٨)، ولكن جـاء الـرب يسـوع وقدم جسده، وعن ذلك يقول الرسول:

"ينزع الأول لكي يثبت الثاني،

فبهذه المشيئة نحن مقدسون، بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحـدة" (عـب ١٠:٩ ـ ١٠). وكمـا ذكرنا من قبل لم تكن الذبائح في العهد القديم وسيلة لصرف "غضب الله".

أنواع مختلفة للإنسحاق

حسب عادتنا الشائعة نقول « أنا هدوس عليك... أنا هسحقك..» وهذا هو الاستعلاء، بل وتحت هذا تكمن السادية، لكن الله ليس كذلك.

سحق الانتصار، على عدو (قضاة ٥: ٢٦).

كسر أسلحة العدو وسحقها (حز ٧٦: ٣).

سحق التوبة، والانكسار أمام الله (مزمور ٥١: ٨).

سحق الحية، ودمار قوة الشيطان (تكوين ٣: ١٥).

سحق الدينونة، عندما يسقط الحجر الذي رفضه البناؤون (متى ٢١: ٣٣ ـ ٤٤).

سحق الشوق إلى الله، حسب عبارة المزمور "إنسحقت نفسي شوقاً إلى أحكامك" (١١٩: ٢٠).

وعندما يقول النبي أن الرب يسوع "مسحوق لأجل آثامنا..." فإن النبي نفسه يؤكد أن الله لم يكن هو الذي سحق ابنه الوحيد، بل يقول النبي:

* لكن أحزاننا حملها... وفي حمل الحزن إنسحاق يعرفه الذين يحملون أثقال وأحزان الآخرين.

* وأوجاعنا تحملها...، لقد جاء لكي يشفي المرضى، ويقيم الموتى.. جاء لكي يقيم الخليقة الساقطة..، فهل يحدث ذلك دون إنسحاق، وهو الله الكلمة الخالق الذي يرى هلاك خليقته، ولذلك يقول القديس أثناسيوس:

« إذا رأى أن كل البشر تحت سلطان الموت، فإنه رحم جنسنا، وأشفق على ضعفنا، وتراءف على فسادنا. وإذ لم يحتمل أن يرى الموت وقد صارت له السيادة علينا، لئلا تفني الخليقة ويتلاشى عمل الله. فقد أخذ لنفسه جسداً..» (تجسد الكلمة ٨: ٢ ص ٢١).

* "ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً" وقبل أن يسارع أي إنسان يريد أن ينسب القسوة والضرب إلى الله...، نقول له أن البشر هم الذين عاينوا الابن في هذه الصورة، والدليل هو "نحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله..." ولم يقل النبي أن الله هو الذي فعل ذلك...، لأن الفكر السائد في العهد القديم أن سيادة الله وسلطانه لا تسمح بهلاك أو عقاب البرئ والطاهر، وأن القديس الذي يتألم يُحسب كمن هو تحت دينونة الله. وهنا بالذات عندما يقدم القديس أثناسيوس نبوة أشعياء النبي، فإنه لا يذكر تعذيب الآب للابن المصلوب، بل يقول عكس ذلك تماماً :

« الكتب المقدسة أيضاً لم تسكت عن ذكر موته...
إذ هو لم يحتمل الموت لأجل نفسه بل من أجل خلود الجميع » (٤٣: ١).

وبعد أن يذكر كلمات النبي أشعياء ٥٣: ٣ ـ ٥ يقول:
« يا لها من محبة عجيبة للبشرية تلك التي أظهرها الكلمة من نحونا، حتى أنه يهان لكي نحصل نحن على كرامة» (٣٤: ٢).

ثم يذكر نص النبوة ٥٣: ٥ ولكن لاحظ أن القديس أثناسيوس، مثل كل الآباء، يقرأ نص كلمات النبي من أدق ترجمة للنص العبراني نفسه، وهي ترجمة إيهود:
"ظلم أما هو فلم يفتح فاه ،
كشاة تساق للذبح ،
كحمل صامت أمام الذي يجزه ،
فلم يفتح فاه ،

لكن لاحظ دقة كلمات النبي :
"في إتضاعه رفعت عنه قضيته" (أش ٥٣: ٨).

وهي نفس كلمات النبوة كما وردت في سفر الأعمال:

"في تواضعه انتزع قضاؤه.." (أع ٨: ٣٣).

بل وهي نفس كلمات صلاة قسمة سبت الفرح في كنيستنا القبطية. لقد رُفِعت عنه قضية الموت لأنه لم يمت تحت الدينونة ـ كما هو شائع ـ بل مات لكي يبيد الموت، وبنفس الروح الأرثوذكسية يشرح القديس كيرلس الاسكندري كلمات النبوة في العظة ١٥٣ على إنجيل لوقا:

« لقد احتمل الآلام ،
لكي يحررنا من الآلام ،
إحتُقِر ورُفِض ـ كما هو مكتوب ،
لكي يجعلنا مكرمين ،
لم يخطأ لكي يكلل طبعنا بمجده ،
لأجلنا نحن كإنسان قبِل (خضع) لمصيرنا ،
ومن يعطي الحياة لكل العالم ،
خضع للموت في الجسد ».

لقد صار الرب، "ذبيحة إثم"، دون أن يصبح هو نفسه "إثماً". جاء لكي "يحل قضية الموت" حسب تعبير التسبحة، لا لكي يقع هو نفسه تحت الحكم. هنا تبرز مسألتين كل منهما على قدر كبير من الأهمية :

الأولى: أن حكم الموت صدر من الثالوث، وليس من الآب وحده. وعندما يجيء الأقنوم الثاني إلينا في الجسد متجسداً من العذراء، فإنه يجئ لا لكي يخضع للحكم، بل لكي يحل ويرفع اللعنة، وهي لعنة الموت (غلاطية ٣: ١٣). وفي دقة ووضوح، يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم كلمات الرسول في (غلاطية ٣: ١٣).

« لم يُكمل ولم يحفظ البشر الناموس (الشريعة)، ولذلك كانوا أهلاً للعقاب، لأنهم لم يحفظوا الناموس كله. أما المسيح فقد جاء لكي يرفع اللعنة، ولكن بطريقة أخرى وهي تلك التي تقول: "ملعون كل من علق على خشبة" (تث ٢١: ٢٣).

وحسب هذه الكلمات، من يُعلق على الخشبة ومن يتعدى الناموس كلاهما ملعون. أما المسيح الذي جاء لكي يرفع اللعنة، فهو لا يمكن أن يصبح ملعوناً، (لأنه لم يتعدى الناموس)، بل "صار لعنة" عندما قبل اللعنة دون أن يكون متعدياً للناموس، وبقبوله اللعنة (موت الصليب) رفع اللعنة... وكما لو كان شخص ما قد حُكم عليه بالموت، ويأت آخر برئ، **ويختار** أن يموت عنه لكي يحرره من العقوبة، وهذا ما فعله المسيح...، وهكذا بالموت خطف الذين كانوا تحت حكم الموت، وعندما تألم بلعنة (الصليب أي الموت) حررهم من اللعنة. (عظة ٤: ٢٩ على غلاطية ٣: ١٣) ».

ويؤكد نفس الشرح القديس إبيفانيوس في رده على مرقيون الغنوصي:

« يعلن، الرسول القديس، كيف حقَقَ وأكَمَلَ الظهور بالجسد، والصليب تدبير حل "اللعنة"، التي كُتب عنها من قبل في الشريعة عندما تَنبأت عن مجئ المخلص، وكيف تمت فيه (المخلص) هذه النبوات... » (الرد الثاني على مرقيون في كتاب ضد الهرطقات ٤٢: ١٢ فقرة ٣).

وبنفس الروح الآبائية الرسولية، يشرح غريغوريوس الناطق بالإلهيات كلمات الرسول في (غلاطية ٣: ١٣) :

« كيف يمكن أن يتحول الرب ويصبح خطية ولعنة؟ هذا مستحيل. ولكن لأنه قبل أن يجوز اللعنة والموت فقد حمل خطايانا وأمراضنا » (رسالة ١٠١: ٦١).

الثانية: أن تدبير الخلاص - كما ذكرنا من قبل - ونعيد نفس الكلام والشرح، هو عمل الثالوث وعن ذلك يقول القديس كيرلس الكبير:

« إننا لا نعترف بأن الثالوث القدوس الواحد حسب الجوهر قد إنقسم أبداً ضد ذاته، أو إنشطر إلى أراء متعارضة متباينة، أو أن الآب أو الابن أو الروح القدس قد إنقسموا إلى ما قد يبدو صالحاً لكل منهم على حدة، بل الأقانيم الثلاثة ولأنهم لاهوت واحد يتفقون في كل شيء، ومن الواضح أن تكون لهم نفس الإرادة التي للثالوث القدوس... »

(شرح إنجيل يوحنا - الكتاب الرابع الفصل الأول - راجع الترجمة العربية ص ١١٣).

ويسأل الآب صفرونيوس أحد تلاميذه في الرهبنة :

- هل تُقسم الخطية الفرد الواحد والجماعة ؟

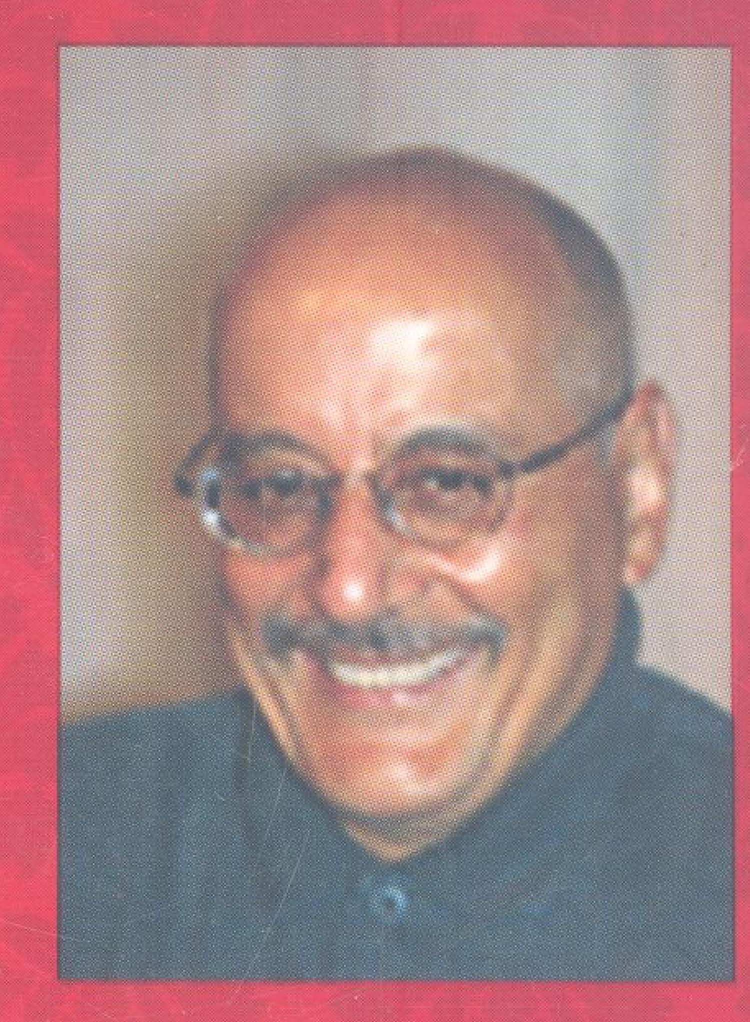
+ نعم بكل تأكيد

- هل تستطيع الخطية واللعنة والموت أن تُقسم المسيح الواحد وتجعله غريباً عن جوهر اللاهوت أي الآب والروح القدس.

+ أرجو أن تشرح

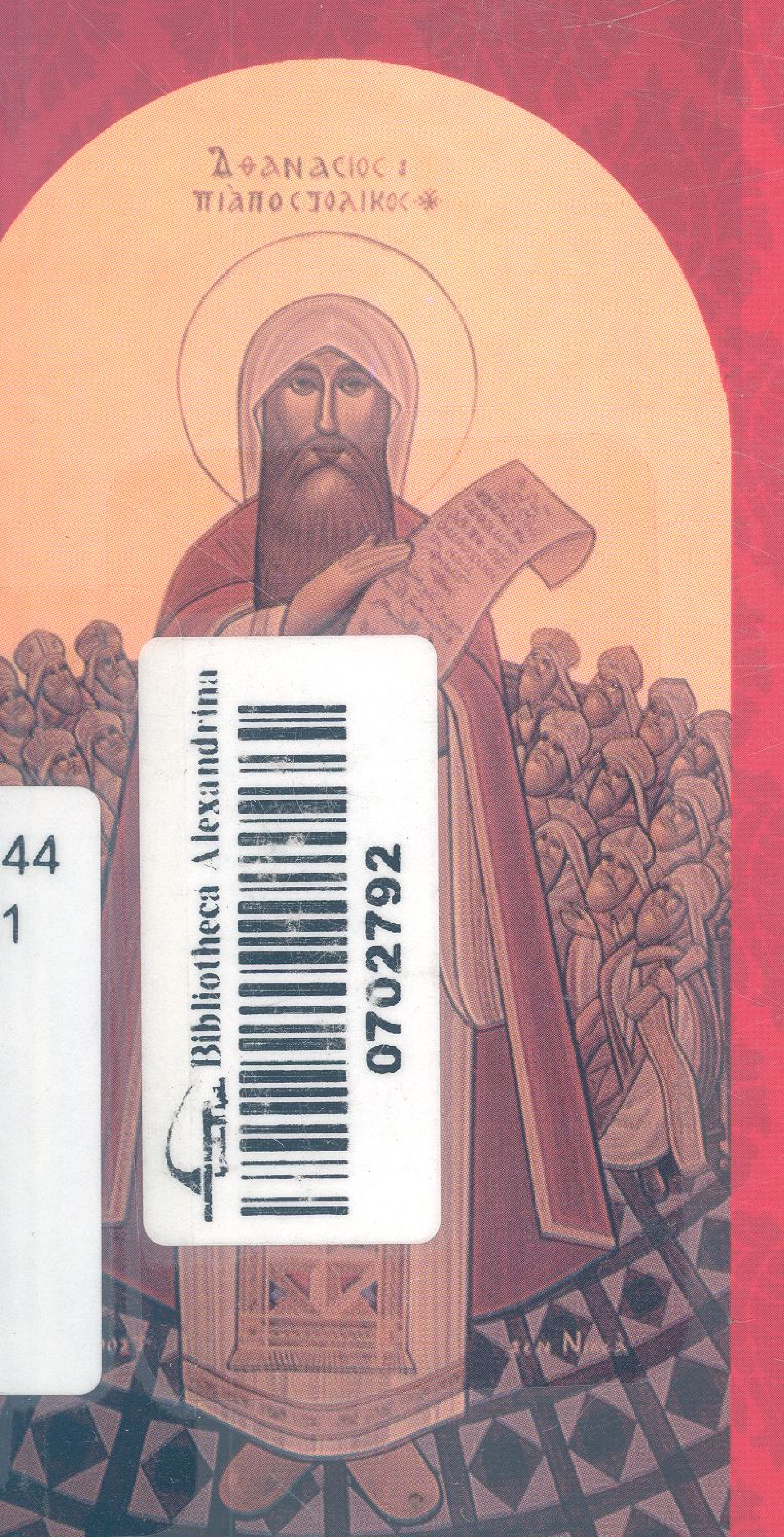
- إذا كان الخلاص برمته هو تدبير الثالوث، ولأجل الخلاص تم إتحاد اللاهوت بالناسوت عندما تجسد الابن الوحيد رب المجد، وظل كما كان قبل تجسده في حضن الآب، وظل واحداً مع الآب والروح القدس...، هذه هي طبيعة الله التي لا تنقسم ولا تقدر أي قوة مهما كانت غريبة على جوهر الثالوث أن تقسم الثالوث. فالخلاص من الانقسام لا يأت بإنقسام في جوهر الثالوث، ولا يفصل أو يقسم المسيح الواحد، لأن الطبيب لا يشفي المريض عندما يصبح هو نفسه مريضاً، بل يقدم الدواء، لذلك السبب قيل عن الرب أنه صار "ذبيحة خطية" (٢كور ٥:

٢١)، لأن الخطية التي جلبت الموت كانت تعالج على الصليب بدواء الحياة؛ أي إبادة الموت، وبدواء رفع لعنة الموت؛ أي القيامة، وبدواء الحرية من الحكم؛ أي الغفران. هذه كلها قدمها الرب يسوع لنا بمحبته للبشرية ». (رسالة إلى الأب صفنيا الورقة الرابعة ـ عامود ٣).



الدكتور جورج حبيب بباوي

* ولد في القاهرة عام ١٩٣٨
* تتلمذ على القمص مينا المتوحد (قداسة البابا كيرلس السادس) لمدة ثلاث سنوات.
* التحق بالكلية الإكليريكية ـ القسم العالي ١٩٥٧
* عُين معيد بالكلية الإكليريكية.
* درس في جامعة كامبريدج وحصل على درجة الماجستير والدكتوراه ١٩٧٠
* سكرتير رابطة معاهد اللاهوت بالشرق الأوسط.
* سكرتير لجنة الحوار اللاهوتي مع الكنيسة الكاثوليكية.
* مدرس في معاهد اللاهوت الأرثوذكسية والكاثوليكية والإنجيلية بمصر ولبنان.
* وكيل القسم المسائي الجامعي ـ الكلية الإكليريكية ـ القاهرة.
* مدرس بجامعة برمنجهام ١٩٨٤
* مدرس بجامعة نوتنجهام ١٩٨٤ ـ ١٩٩٩
* عميد معهد اللاهوت الأرثوذكسي ـ جامعة كامبريدج إنجلترا.
* مدرس بقسم الدراسات العليا ـ جامعة كامبريدج ـ إنجلترا.
* عميد معهد اللاهوت الأرثوذكسي ـ إنديانا ـ أمريكا.
* نشر العديد من المقالات في الدوريات والمجلات الدراسية.
* ترجم بعض كتب الآباء إلى اللغة العربية.
* خدم مع رئيس الأساقفة أنطوني بلوم ـ مطران غرب أوروبا الأرثوذكسي.
* خدم مع الأسقف كاليستوس وير أستاذ الآباء بجامعة أوكسفورد.
* حاضر في جامعات: كامبريدج ـ أوكسفورد ـ لند (السويد).
* أستاذ زائر في جامعات أمريكا.



Coptology
www.coptology.org

سعر النسخة
٧,٥ جنيه